رسالة في نواقض الإسلام وقوادحه

تأليف سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله ابن باز ـ رحمه الله .

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء سابقا.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة في بيان معنى (لا إله إلا الله) وما ينقض معناها قولا وفعلا[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد :

أيها الإخوة في الله! لقد رأت اللجنة التي وكل إليها توزيع الندوات والمحاضرات في هذا البلد أن يكون عنوان الكلمة هذه الليلة (بيان معنى لا إله إلا الله) فوافقت على ذلك ؛لأن هذه الكلمة هي أصل الدّين وأساس الملة وهي التي فرق الله بها بين الكافر والمسلم، وهي التي دعت إليها الرسل جميعا، وأنزلت من أجلها الكتب، وخلق من أجلها الثقلان الجن والإنس، فدعا إليها آدم أبونا عليه الصلاة والسلام، وسار عليها هو وذريته إلى عهد نوح، ثم وقع الشرك في قوم نوح؛ فأرسل الله إليهم نوحا عليه الصلاة والسلام، يدعوهم إلى توحيد الله ويقول لهم: كما جاء في سورة الأعراف الآية: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[الأعراف: ٥٩] .

وهكذا هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وغيرهم من الرّسل كلهم دعوا أممهم إلى هذه الكلمة، إلى توحيد الله والإخلاص له، وترك عبادة ما سواه؛ وآخرهم وخاتمهم وأفضلهم نبيّنا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام؛ بعثه الله إلى قومه بهذه الكلمة وقال لهم يا قوم: « **قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا**

(١)مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رقم (٤/ ٦ -٢٦) .

اللهَ تُفْلِحُوا»(٢) وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده، وأن يَدَعُوا ما كان عليه آباؤهم، وأسلافهم من الشّرك بالله وعبادة الأصنام، والأوثان والأشجار والأحجار وغير ذلك؛ فاستنكرها المشركون وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص: ٥]؛لأنهم قد اعتادوا عبادة الأصنام، والأوثان والأولياء والأشجار، وغير ذلك بالذّبح لهم والنّذر لهم وطلبهم لقضاء الحاجات وتفريج الكروب، فاستنكروا هذه الكلمة؛ لأنها تبطل آلهتهم ومعبوداتهم والعبادة لها من دون الله، ويبين ربنا سبحانه قولهم في سورة الصافات: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾[الآية٣٥،٣٦] وسموا النّبي عليه الصلاة والسلام شاعرًا مجنونًا بجهلهم وضلالهم وعنادهم، وهم يعلمون أنه ﷺ أصدق النّاس، وأنه الأمين، وأنه أعقل الناس، وأنه ليس بشاعر، ولكنه الجهل والظلم والعدوان فيهم، والمغالطة والتّكذيب والتّلبيس على الناس؛ فكل من لم يحقق هذه الكلمة، ويعرف معناها ويعمل بها فليس بمسلم، فالمسلم هو الذي يوحد الله، ويخصه بالعبادة دون كل ما سواه، فيصلي له ويصوم له ويدعوه وحده، ويستغيث به وينذر ويذبح له، إلى غير ذلك من أنواع العبادات، ويعلم يقينا أن الله سبحانه هو المستحق للعبادة؛ وأن ما سواه لا يستحقها، سواء كان نبيّا أو ملكا أو وليّا، أو صنما أو شجرا أو جنيّا، أو غير ذلك كلهم لا يستحقون العبادة؛ بل هي حق لله وحده، ولهذا قال الله عز

---

(٢) أخرجه عن الإمام أحمد بن حنبل عن ربيعة بن عباد الدّيلي رقم (٣/ ٤٩٢).

وجل في سورة الإسراء: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الآية ٢٣] يعني أمر وأوصى ألا تعبدوا إلا إياه، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، وهو أنه لا معبود بحق إلا الله، فهي نفي وإثبات، نفي للإلهية عن غير الله، وإثبات لها بحق لله وحده سبحانه وتعالى.

فالإلهية التي يوصف بها غير الله باطلة، والإلهية بحق ثابتة لله وحده سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل في سورة الحج: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾[الآية ٦٢] فالعبادة لله وحده دون كل ما سواه، وأمّا صرف الكفار لها لغيره سبحانه، فذلك باطل ووضع لها في غير محلها، قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[الآية ٢١] وقال سبحانه في سورة الفاتحة، وهي أعظم سورة في القرآن: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾[الآية ٥] فأمر الله المؤمنين أن يقولوا هكذا: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ يعني نعبدك وحدك، و نستعين بك وحدك، وقال عز وجل في سورة النساء: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾[الآية ٣٦] ،وقال سبحانه في سورة البينة: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[الآية ٥] وقال عز وجل في سورة غافر: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[الآية ١٤] وقال سبحانه في سورة الزمر: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾[الآية ٢، ٣] إلى غير ذلك من آيات كثيرات، كلّها تدل على أنه سبحانه هو المستحق

للعبادة، وأن المخلوقين لا حظ لهم فيها، وهذا هو معنى لا إله إلا الله؛ وتفسيرها وحقيقتها أنها تخص العبادة بحق لله وحده، وتنفيها بحق عما سواه.

ومعلوم أن عبادة غير الله موجودة، وقد عبدت أصنام وأوثان من دون الله، وعبد فرعون من دون الله، وعبدت الملائكة من دون الله، وعبدت الرّسل من دون الله، وعبد الصالحون من دون الله، كل ذلك قد وقع، ولكنه باطل، وهو خلاف الحق؛ والمعبود بالحق هو الله وحده سبحانه وتعالى.

وكلمة ((لا إله إلا الله)) نفي وإثبات كما سبق بيانه، نفي للعبادة عن غير الله كائنا من كان، وإثبات العبادة بالحق لله وحده، كما قال جلّ وعلا في سورة الزخرف: عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الآية ٢٦،٢٨] وقال سبحانه في سورة الممتحنة: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الآية ٤] وهذا قول الرّسل جميعا؛ لأن قوله سبحانه: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ يعني به الرّسل جميعا، وهم الذين معه من أولهم إلى آخرهم، ودعوتهم دعوته وكلمتهم هي البراءة من عبادة غير الله، ومن المعبودين من دون الله الذين رضوا بالعبادة لهم ودعوا إليها، فالمؤمن يتبرأ

منهم، وينكر عبادتهم؛ ويؤمن بالله وحده المعبود بالحق سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال سبحانه: في الآية السابقة عن إبراهيم أنه قال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فالله سبحانه وتعالى هو الذي فطره، وفطر غيره؛ فإنّه عليه السلام لا يتبرأ من عبادت الله وإنّما يتبرأ من عبادة غير الله، فالبراءة تكون من عبادة غيره سبحانه، أمّا هو عز وجل الذي فطر العباد، وخلقهم وأوجدهم من العدم، وغذاهم بالنّعم؛ فهو المستحق للعبادة سبحانه وتعالى، فهذا هو مدلول هذه الكلمة، ومعناها ومفهومها؛ وحقيقتها البراءة من عبادة غير الله، وإنكارها واعتقاد بطلانها؛ والإيمان بأن العبادة بحق لله وحده سبحانه وتعالى وهذا معنى قوله جلّ وعلا في سورة البقرة: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية٢٥٦] ومعنى يكفر بالطاغوت، أي ينكر عبادة الطاغوت ويتبرأ منها، والطاغوت: اسم لكل ما عبد من دون الله، فكل معبود من دون الله يسمى طاغوتا، فالأصنام والأشجار والأحجار والكواكب المعبودة من دون الله كلها طواغيت؛ وهكذا كل من عبد وهو راض كفرعون ونمرود وأشباههما، يقال له طاغوت، وهكذا الشياطين طواغيت؛ لأنهم يدعون إلى الشّرك.

وأمّا من عُبِدَ من دون الله ولم يرض بذلك، كالأنبياء والصالحين والملائكة فهؤلاء ليسوا بطواغيت، وإنّما الطاغوت: الشّيطان الذي دعا إلى عبادتهم سواء كان من جن أو إنس؛ أما الرّسل والأنبياء والصالحون والملائكة فهم

براء من ذلك، وليسوا بطواغيت؛ لأنهم أنكروا عبادتهم وحذروا منها، وبينوا أن العبادة حق الله وحده سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾ يعني ينكر عبادة غير الله، ويتبرأ منها ويجحدها، ويبيّن أنها باطلة، ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ ﴾يعني يؤمن بأن الله هو المعبود بالحق، وأنّه هو المستحق للعبادة، وأنّه رب العالمين، وأنه الحق العليم، رب كل شيء ومليكه، والعالم بكل شيء، والقاهر فوق عباده، وهو فوق العرش، فوق السماوات سبحانه وتعالى، وعلمه في كل مكان، وهو المستحق للعبادة جلّ وعلا؛ فلا يتم الإيمان ولا يصح إلا بالبراءة من عبادة غير الله، وإنكارها واعتقاد بطلانها؛ والإيمان بأن الله هو المستحق للعبادة سبحانه وتعالى، وهذا معنى قوله سبحانه في سورة الحج: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ [الآية ٦٢] وفي سورة لقمان: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾ [الآية ٣٠] وهو معنى الآيات السّابقات، وهي قوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾[الآية ٢١] وقوله جلّ وعلا في سورة النساء: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[الآية٣٦] وقوله عزّ وجل في سورة البينة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [الآية ٥] إلى غير ذلك من الآيات .

وكان الناس في عهد آدم عليه السلام وبعده إلى عشرة قرون، كلهم على توحيد الله، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما؛ ثم وقع الشرك في قوم نوح، فعبدوا مع

الله ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا، كما ذكر الله ﷻ ذلك في سورة نوح عليه السلام، فأرسل الله إليهم نوحا عليه السلام، يدعوهم إلى توحيد الله، وينذرهم نقمة الله وعقابه، فاستمروا في طغيانهم وكفرهم وضلالهم، ولم يؤمن به منهم إلا القليل، فأكثرهم ومعظمهم استكبروا عن ذلك، كما بيّن الله ﷻ ذلك في كتابه العظيم، فماذا فعل الله بهم!؟

ولقد فعل بهم ما بيّنه ﷻ لنا في كتابه العظيم من إهلاكهم بالطوفان: وهو الماء العام الذي ملأ الأرض، وعلا فوق الجبال، وأغرق الله به من كفر بالله، وعصى رسوله نوحا، ولم ينج إلا من كان مع نوح في السّفينة، كما قال سبحـــــانه في سورة

العنكبوت: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[الآية١٥]
وهذا عقابهم في العاجل في الدّنيا، ولهم عقاب آخر في الآخرة، وهو العذاب في النّار يوم القيامة، نسأل الله العافية .

ثم جاءت عاد بعد ذلك، وأرسل الله إليهم هودا عليه السلام بعد نوح عليه السلام فسلكوا مسلك من قبلهم، من قوم نوح عليه السلام في العناد والكفر بالله والضلال، فأرسل الله عليهم الريح العقيم، فأهلكوا عن آخرهم، ولم ينج منهم إلّا من آمن بهود عليه السلام وهم قليل.

ثم جاء بعدهم قوم صالح عليه السلام وهم ثمود، فسلكوا مسلك من قبلهم من الأمتين، أمة نوح عليه السلام وأمة هود عليه السلام، فعصوا الرسل واستكبروا عن الحق؛

فأخذهم الله بعقاب الصيحة والرّجفة، حتى هلكوا عن آخرهم، ولم ينج إلا من آمن بنبيه صالح عليه الصلاة والسلام، ثم جاء بعدهم أمم أخرى، منهم أمة إبراهيم عليه السلام، وأمة لوط عليه السلام، وشعيب عليه السلام وأمة يعقوب وإسحاق ويوسف عليهم السلام، ثم جاء بعدهم موسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام، وغيرهم من الأنبياء، كلهم دعوا الناس إلى توحيد الله كما أمروا، وأشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وكلهم أدوا ما عليهم من البلاغ والبيان عليهم الصلاة والسلام، بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة، وبينوا لهم معنى هذه الكلمة: « لا إله إلا الله » وبيّنوا أن الواجب إخلاص العبادة لله وحده، وأنّه هو الذي يستحق العبادة دون كل ما سواه، وأن الأشجار والأحجار والأصنام والكواكب والجن والإنس، وغيرهم من المخلوقات كلهم لا يستحقون العبادة؛ لأن العبادة يجب أن تصرف لله وحده، وفرعون لما بغى وطغى، وعاند موسى عليه السلام وخرج لقتله، ساقه الله جلّ وعلا للبحر، وأغرقه ومن معه فيه في لحظة واحدة، وهذا عذاب معجل وهو الغرق، وبعده عذاب النار، نسأل الله العافية والسلامة.

وكذلك نبينا محمد ﷺ، دعا الناس إلى عبادة الله، وبشر بالجنة من آمن، وحذر بالنار من كفر، فآمن من آمن وهم القليل في مكة، ثم بسبب الأذى

له ولأصحابه، أمره الله بالهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها ومن آمن معه ممّن استطاع الهجرة، فصارت المدينة دار الهجرة ، والعاصمة الأولى للمسلمين، وانتشر فيها دين الله، وقامت فيها سوق الجهاد، بعد تعب عظيم، وإيذاء شديد من قريش وغيرهم، لرسول الله ﷺ وللمؤمنين معه في مكة.

كل ذلك من أجل هذه الكلمة « لا إله إلا الله »، فالرّسل عليهم السلام دعت إليها، ومحمد خاتمهم ﷺدعا إلى ذلك، دعا إلى الإيمان بها ، وإلى اعتقاد معناها، وإلى تعطيل الآلهة التي عبدوها من دون الله وإنكارها، كما دعا إلى إخلاص العبادة لله وحده، لكن المشركين كانوا يأبون ذلك، ويقولون إنهم سائرون على طريقة أسلافهم، ويقولون كما ذكر الله سبحانه عنهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] فأمة العرب الذين بعث فيهم النّبي ﷺ، أولا سلكوا مسلك من قبلهم في العناد والكفر والضلال والتكذيب، ونبيّنا ﷺطيلة ثلاث عشرة سنة في مكة، يدعوهم إلى توحيد الله، وإلى ترك الشّرك بالله، فلم يؤمن به إلا القليل، وبقي هذا دأبهم حتى بعد الهجرة إلى المدينة، حيث استمروا في طغيانهم، فقاتلوه يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب كل ذلك كان عنادا وكفرا وضلالا، وساعدهم من ساعدهم من كفار العرب، ولكن الله جلت قدرته، أيد نبيّه ﷺ والمؤمنين وأعانهم، وجرى ما جرى يوم بدر من الهزيمة على أعداء الله، والنصر لأولياء الله، ثم جرى ما جرى يوم أحد من الامتحان الذي كتبه الله على عباده، وحصل ما حصل من الجراح والقتل على المسلمين؛ بأسباب بيّنها في

كتابه العظيم سبحانه وتعالى؛ ثم جاءت وقعة الأحزاب بين الرسول ﷺوبين أهل الكفر، فأعزّ الله جنده ونصر عبده وأنزل بأسه بالكفار، فرجعوا خائبين لم ينالوا خيرا، ونصر الله المسلمين ضد أعدائهم؛ ثم جاءت بعد ذلك غزوة الحديبية، عام ست من الهجرة، وحصل فيها ما حصل من الصّلح بين الرسول ﷺوأهل مكة، والمهادنة عشر سنين حتى يأمن الناس، وحتى يتصل بعضهم ببعض، وحتى يتأملوا دعوته ﷺوما جاء به من الهدى، ثم نقضت قريش العهد، فغزاهم النّبي ﷺعام ثمان من الهجرة في رمضان، وفتح الله عليه مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجا والحمد لله.

فهذا الدين العظيم وهو الإسلام، يحتاج من أهله إلى صبر ومصابرة وإخلاص لله، ودعوة إليه وإيمان به وبرسله، والوقوف عند حدوده وترك لما نهى الله عز وجل عنه، هذا هو دين الله الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، وهو الدين الذي بعث به نبيه محمدا ﷺ، وهو توحيد الله والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد ﷺ، والانقياد لشريعته قولا وعملا وعقيدة، وأصله وأساسه ((شهادة ألَّا إله إلّا الله)) التي بعث الله بها جميع الرسل، ولا إسلام إلا بها من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ، ولا إسلام إلا بالقيام بحق هذه الكلمة:((لا إله إلا الله)) قولا وعملا وعقيدة، فيقول المسلم:((لا إله إلا الله)) بلسانه ويصدقها بقلبه وأعماله، فيوحد الله ويخصه بالعبادة، ويتبرأ من عبادة ما سواه، ولا بد مع هذا من الشهادة للنبي بالرسالة ﷺ، فلا بد من الإيمان بالله وحده وإخلاص العبادة له، ولا بد مع هذا الإيمان من

التصديق للرسل الذين بعثوا بذلك، من عهد نوح عليه السلام إلى عهد نبينا محمد ﷺ، فلا إسلام إلا بذلك.

وفي عهد هود كذلك لا إسلام إلا بتصديق هود عليه الصلاة والسلام، مع توحيد الله والإخلاص له، والإيمان بمعنى ((لا إله إلا الله))، وهكذا في عهد صالح عليه السلام لا إسلام إلا بتوحيد الله والإخلاص له، والإيمان بنبي الله صالح عليه السلام، وأنه رسول الله حقا عليه السلام، وهكذا من بعدهم كل نبي يبعث إلى أمته، لا بد في الإسلام من توحيد الله والإيمان بذاك الرسول الذي بعث إليهم وتصديقه، وآخرهم عيسى بن مريم عليه السلام، هو آخر أنبياء بني إسرائيل، وآخر الأنبياء قبل محمد ﷺ، فلا إسلام إلا لمن آمن به واتبع ما جاء به.

ثم بعث الله سبحانه محمدا ﷺخاتم الأنبياء وآخرهم، وجعل الدخول في الإسلام لا يتم ولا يصح إلا بالإيمان به ﷺ، فلا بد من توحيد الله والإيمان بهذه الكلمة، ((لا إله إلا الله)) واعتقاد معناها، وأن معناها توحيد الله وإفراده بالعبادة، وتخصيصه بها دون كل ما سواه، مع الإيمان برسوله محمد ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده، فهكذا علم الرسول عليه السلام أمته، وعلى هذا دلّ كتاب الله الكريم حيث قال الله تعالى فيه: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] فلا بد من الإيمان بالنّبيين جميعا وآخرهم محمد ﷺ، ولما سأل جبرائيل عليه السلام النّبي محمد ﷺعن الإيمان؟

قال ﷺ: « **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** »[٣].

فلا بد مع الإسلام، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، من الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين السابقين، والإيمان بجميع الملائكة، والكتب المنزلة على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعا، ولا بد مع الإيمان بالقدر خيره وشره، من الإيمان باليوم الآخر، والبعث بعد الموت، والجنة والنار، وأن ذلك حق لا بد منه، ولكن أصل ذلك وأساسه الإيمان بالله وحده، وأنه هو المستحق للعبادة؛ هذا هو الأصل، وهذا هو الأساس، والبقية تابعة لذلك، فمن أراد الدخول في الإسلام والاستقامة عليه، والفوز بالجنة والنجاة من النار، وأن يكون من أتباع محمد ﷺ الموعودين بالجنة والكرامة، فإنه لا يتم له ذلك، إلا بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ.

فتحقيق الأولى وهي « لا إله إلا الله » بإفراد الله بالعبادة، وتخصيصه بها، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله من أمر الجنّة والنّار والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وأما تحقيق الثانية: وهي « شهادة أن محمدًا رسول الله»، فبالإيمان به صلى الله عليه وسلم، وأنه عبد الله ورسوله، أرسله الله سبحانه إلى الجن والإنس،

---

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم (٨).

يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان به، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ مع الإيمان بجميع الماضين من الرسل والأنبياء، ثم بعد ذلك الإيمان بشرائع الله التي شرعها لعباده، على يد رسوله محمد ﷺ، والأخذ بها والاستمساك بها من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وغير ذلك. وكان ﷺ إذا سئل عن عمل، يدخل به العبد الجنة، وينجو به من النار، قال ﷺ له : تشهد أن لا الله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وربما قال ﷺ له : تعبد الله ولا تشرك به شيئا فعبر له بالمعنى ، فإن معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا.

ولهذا لما سأله جبرائيل عليه السلام في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الصحيح **قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرنِي عَنْ الْإِسْلَامِ قَالَ:« الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا»**(٤).

وفي حديث عمر رضي الله عنه قال ﷺ: **«الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»**(٥)فهذا يفسر هذا، فإن شهادة **«أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**: معناها إفراد الله بالعبادة، وهذه هي عبادة الله وعدم الإشراك به، مع الإيمان برسوله ﷺ.

---

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾رقم (٤٧٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم(٩).

(٥) سبق تخريجه .

وجاءه رجل فقال: « **يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَةَ وَأَنْجُو مِنْ النَّارِ قَالَ:** « **تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا**»(١)، ثم قال: وتقيم الصلاة إلى آخره؛

فعبادة الله وعدم الإشراك به، هذا هو معنى لا إله إلا الله، قال الله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩] يعني: اعلم أنه المستحق للعبادة، وأنه لا عبادة لغيره، بل هو المستحق لها وحده، وأنه الإله الحق، الذي لا تنبغي العبادة لغيره عزّ وجل .

وإنكار المشركين لها يبيّن معناها؛ لأنهم إنما أنكروها لما علموا أنها تبطل آلهتهم، وتبيّن أنهم على ضلالة، ولهذا أنكروها، فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[ص: ٥] وقال الله سبحانه عنهم: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٦] فعرفوا أنها تبطل آلهتهم وتبيّن زيفها، وأنّها لا تصلح للعبادة، وأن عبادتهم لهذه الآلهة باطلة، وأن الإله الحق هو الله وحده سبحانه وتعالى؛ ولهذا أنكروا كلمة التوحيد؛ لأنها تبين لهم أن عبادتهم للأصنام أو الأشجار أو الأحجار، أو الأموات أو الجن أو غير ذلك عبادة باطلة. فجميع المخلوقات ليس عندهم ضر ولا نفع، كلهم مملوكون لله سبحانه وتعالى، عبيده جل وعلا، فلا يصلحون للعبادة ؛ لأن الله سبحانه خالق كل

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الزكاة ، باب : وجوب الزكاة رقم (١٣٩٧) ،ومسلم في كتاب الإيمان عن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما ، باب :بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة رقم (١٤) .

شيء وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة: ١٦٣] وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴾[طه: ٩٨] فالواجب على كل مكلف، وعلى كل مؤمن ومؤمنة من الجن والإنس التبصر في هذا الأمر، وأن يعتني به كثيرا، حتى يكون جليا عنده، واضحا لديه؛ لأن أصل الدين وأساسه عبادة الله وحده، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله وحده سبحانه وتعالى، ويضاف إلى ذلك الإيمان بالرسل وبخاتمهم محمد ﷺ، فلا بد من ذلك مع الإيمان بملائكة الله، وكتب الله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، والإيمان بكل ما أخبر الله ورسوله به.

فكل ذلك لا بد منه في تحقيق الدخول في الإسلام، ولقد سبق بيان ذلك، وكثير من الناس يظن أن قول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله يكفيه، ولو فعل ما فعل، وهذا من الجهل العظيم، فإنها ليست كلمات تقال؛ بل كلمات لها معنى لا بد من تحقيقه، بأن يقولها ويعمل بمقتضاها، فإذا قال: لا إله إلا الله، وهو يحارب الله بالشّرك وعبادة غيره، فإنّه ما حقق هذه الكلمة، فقد قالها المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، وهم مع ذلك في الدرك الأسفل من النار، كما قال عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥] لماذا؟؛ لأنهم قالوها باللّسان وكفروا بها بقلوبهم، ولم يعتقدوها ولم يعملوا بمقتضاها، فلم ينفعهم قولها بمجرد اللّسان.

وهكذا من قالها من اليهود والنّصارى وعباد الأوثان، كلهم على هذا الطريق، فلا تنفعهم حتى يؤمنوا بمعناها، وحتى يخصوا الله بالعبادة، وحتى ينقادوا لشرعه.

وهكذا أتباع مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، والمختار بن أبي عبيد الثقفي، الذين ادّعوا النّبوة وغيرهم، ويقولون لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، لكن لما صدقوا من ادّعى أنّه نبيّ بعد محمد ﷺكفروا، وصاروا مرتدين؛ لأنهم كذبوا قول الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب: ٤٠] فهو خاتمهم وآخرهم، ومن ادّعى بعده ﷺ أنّه نبيّ أو رسول صار كافرًا ضالًّا، وهكذا من صدقه كأتباع مسيلمة في اليمامة، والأسود العنسي في اليمن، والمختار في العراق، وغيرهم لما صدقوا هؤلاء الكذابين بأنهم أنبياء، كفروا بذلك واستحقوا أن يقاتلوا.

فإذا كان من ادعى مقام النّبوة يكون كافرًا؛ لأنّه ادّعى ما ليس له في هذا المقام العظيم، وكذب على الله فكيف بالذي يدّعي مقام الألوهيّة، وينصب نفسه ليعبد من دون الله؟ لا شك أن هذا أولى بالكفر والضلال. فمن يعبد غير الله، ويصرف له العبادة، ويوالي على ذلك ويعادي عليه فقد أتى أعظم الكفر والضلال.

فمن شهد لمخلوق بالنّبوة بعد محمد ﷺ، فهو كافر ضال، فلا إسلام ولا إيمان إلّا بشهادة أن لا إله إلا الله قولا وعملا وعقيدة، وأنه لا معبود بحق

سوى الله، ولا بد من الإيمان بأن محمدًا رسول الله ﷺ، مع تصديق الأنبياء الماضين والشهادة لهم بأنّهم بلغوا الرّسالة عليهم الصلاة والسلام.

ثم بعد ذلك يقوم العبد بما أوجب الله عليه من الأوامر والنواهي، هذا هو الأصل، ولا يكون العبد مسلما إلا بهذا الأصل، إفراد الله بالعبادة والإيمان بما دلت عليه هذه الكلمة، ـ «لا إله إلا الله» ـ ولا بد مع ذلك من الإيمان برسول الله والأنبياء قبله، وتصديقهم واعتقاد أنّهم بلغوا الرّسالة وأدّوا الأمانة - عليهم الصلاة والسلام ـ وكثير من الجهلة كما تقدم يظن، أنه متى قال لا إله إلا الله وشهد أن محمدًا رسول الله، فإنّه يعتبر مسلمًا ولو عبد الأنبياء، أو الأصنام أو الأموات أو غير ذلك، وهذا من الجهل العظيم، والفساد الكبير والضلال البعيد؛ بل لا بد من العمل بمعناها والاستقامة عليه، وعدم الإتيان بضد ذلك قولًا وعملًا وعقيدةً، ولهذا يقول جلّ وعلا في سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾[فصلت: ٣٠ - ٣١]، والمعنى أنهم قالوا: ربنا الله ثم استقاموا على ذلك، ووحدوه وأطاعوه واتّبعوا ما يرضيه، وتركوا معاصيه، فلما استقاموا على ذلك صارت الجنة لهم، وفازوا بالكرامة، وفي الآية الأخرى من سورة الأحقاف قال سبحانه:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[الأحقاف:

١٤،١٣] فعليك يا عبد الله بالتبصر في هذا الأمر والتّفقه فيه بغاية العناية، حتى تعلم أنه الأصل الأصيل، والأساس العظيم لدين الله؛ فإنّه لا إسلام ولا إيمان إلا بشهادة أن لا إله إلا الله قولا وعملا وعقيدة، والشهادة بأن محمدًا رسول الله قولا وعملا وعقيدة، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله عما كان وما سيكون، ثم بعد ذلك تأتي بأعمال الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وغير ذلك.

ولا ينبغي لعاقل أن يغتر بدعاة الباطل، ودعاة الشّرك الذين دعوا ويدعون غير الله، وأشركوا بالله غيره، وعبدوا المخلوقين من دون الله، وزعموا أنّهم بذلك لا يكونون كفارا؛ لأنّهم قالوا: ((لا إله إلا الله))؛ فقالوها بالألسنة، ونقضوها بأعمالهم وأقوالهم الكفرية، قالوها وأفسدوها بشركهم بالله، وعبادة غيره سبحانه وتعالى، فلم تعصم دماءَهم ولا أموالهم، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النّبي ﷺ أنه قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ** »(٧) عزّ وجل، هكذا بيّن النّبيُّ ﷺ أنّهُ لا بد من هذه الأمور.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة رقم (١٣٩٧)، ومسلم في كتاب الإيمان ع، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة رقم (١٤).

وفي حديث طارق بن أشيم الأشجعي ﷺعن النّبي ﷺأنه قال: « **مَنْ وَحَّدَ اللهَ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ** »(٨).

فأبَان النّبي ﷺبهذين الحديثين وأمثالهما، أنّه لا بد من توحيد الله والإخلاص له، ولا بد من الكفر بعبادة غيره، وإنكار ذلك والبراءة منه، مع التّلفظ بالشّهادتين وإقام الصّلاة وإيتاء الزكاة وأداء بقية الحقوق الإسلامية، وهذا هو الإسلام حقا، وضدّه الكفر بالله عز وجل.

وهذا الأصل يجب التزامه والسّير عليه، وهو أن توحد الله، وتخلص له العبادة أينما كنت، مع أداء الحقوق التي فرضها الله، وترك ما حرم الله عليك، وبهذا تكون مسلما، مستحقا لثواب الله ولكرامته سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، ولذلك أنزل الله جل وعلا قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] فبيّن الحكمة في خلقهم، وهي أن يعبدوا الله وحده، وأنهم لم يخلقوا عبثًا ولا سدًى؛ بل خلقوا لهذا الأمر العظيم؛ ليعبدوا الله جل وعلا، ولا يشركوا به شيئا، ويخصوه بدعائهم وخوفهم ورجائهم وصلاتهم وصومهم، وذبحهم ونذرهم وغير ذلك من العبادات، وقد بعث بهذا الأمر الرّسل، كما قال عزّ وجل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦] فكل من أتى بناقض

---

(٨) أخرجه مسلم بمعناه في كتاب الإيمان ،باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله رقم (٢٣)، ولفظه : « مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ ».

من نواقض الإسلام أبطل هذه الكلمة؛ لأن هذه الكلمة إنّما تنفع أهلها إذا عملوا بها واستقاموا عليها، فأفردوا الله بالعبادة وخصوه بها، وتركوا عبادة ما سواه واستقاموا على ما دلّت عليه من المعنى، فأطاعوا أوامر الله وتركوا نواهي الله، ولم يأتوا بناقض ينقضها؛ وبذلك يستحقون كرامة الله، والفوز بالسعادة والنجاة من النار.

أمّا من نقضها بقول أو عمل، فإنّها لا تنفعه ولو قالها ألف مرة في الساعة الواحدة، فلو قال لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وصلّى وصام وزكّى وحج، ولكنه يقول: إن مسيلمة الكذاب الذي خرج في عهد رسول الله ﷺ، ثم في عهد الصحابة يدعي أنه رسول الله، لو قال: إن مسيلمة صادق، كفر ولم ينفعه شيء من القول أو العمل. وكذلك لو قال: إن المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي ادعى النبوة في العراق إنّه نبيّ صادق، وأنّ الذين قاتلوه أخطأوا في قتاله، أو قال في حق الأسود العنسيّ الذي ادّعى في اليمن أنّه نبيّ، أو من بعدهم من الكذّابين، لو قال: إنّهم صادقون يكون كافرًا، ولو قال لا إله إلا الله، وكررها آلاف المرات.

وهكذا لو قالها وهو يعبد البدويّ، أو يعبد الحسين أو يعبد ابن علوان أو العيدروس، أو يعبد النبي محمدا ﷺ، أو يعبد ابن عباس رضي الله عنهما، أو يدعوا الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو غيرهم بأن يدعوهم ويستغيث بهم، وينذر لهم، ويطلب منهم المدد والعون؛ فعند ذلك لا تنفعه هذه الكلمة، وهي «لا إله إلا الله»، وصار بذلك كافرا ضالا، وناقضا لهذه الكلمة، مبطلًا لها.

وهكذا لو قال لا إله إلا الله، وصلى وصام، ولكنه يسب النبي ﷺ، أو يتنقّصه أو يهزأ به، أو يقول: إنه لم يبلغ الرسالة كما ينبغي؛ بل قصر في ذلك، أو يعيبه بشيء من العيوب، صار كافرًا، وإن قال لا إله إلا الله آلاف المرات، وإن صلى وصام؛ لأن هذه النواقض تبطل دين العبد الذي يأتي بها، ولهذا ذكر العلماء رحمهم الله في كتبهم بابا سموه: باب حكم المرتد، وهو الذي يكفر بعد إسلامه، وذكروا فيه أنواعا من نواقض الإسلام، ومنها ما ذكرنا آنفا.

وهكذا لو قال لا إله إلا الله، وجحد وجوب الصّلاة، فقال: إن الصلاة ليست واجبة، أو الصوم ليس واجبا، أو الزكاة ليست واجبة، أو الحج ليس واجبًا مع الاستطاعة، كفر إجماعا ولم ينفعه قوله: لا إله إلا الله، أو صلاته أو صومه، إذا جحد وجوب ذلك، ولو صام وصلى وتعبد، ولكنه يقول: إنّ الزّنى حَلالٌ، أو غيره ممَّا أجمعت الأمة على تحريمه، كفر عند جميع المسلمين، ونقض دينه بهذا القول، وإن قال: لا إله إلا الله، وشهد أن محمدًا ﷺ رسول الله وصلى وصام؛ لأنه بتحليله الزِّنَى، صار مكذبا لله الذي حرمه، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢] وهكذا لو قال: إن الخمر أو الميسر حلال، كفر ولو صلّى وصام، ولو قال: لا إله إلا الله، فإنّه يصير مشركًا كافرًا عند جميع المسلمين؛ لأنّه مكذب لله في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:٩٠] لكن إنّ كان من قال مثل

ذلك يجهل الحكم؛ لكونه نشأ في بلاد بعيدة عن المسلمين، بين له حكم ذلك بالأدلة الشرعية، فإذا أصر على حل الزّنَى أو الخمر، ونحوهما من المحرمات المجمع عليها، كفر إجماعا.

والمقصود من هذا، أن يعلم أن الدخول في الإسلام، والنطق بكلمة لا إله إلا الله، و الشهادة بأن محمدا رسول الله ﷺ، لا يكفي في عصمة الدّم والمال، إذا أتى قائلها بما ينقضها.

وهكذا لو أنّ إنسانا صلّى وصام وتعبد، وقال هذه الكلمة آلاف المرات في كل مجلس، ثم قال مع ذلك أنّ جماع أمّه حلال، أو ابنته أو أخته، كفر عند جميع المسلمين، وصار مرتدا بذلك؛ لكونه استحل ما حرم الله ﷻ بالنص والإجماع.

وهكذا لو كذب نبيًّا من الأنبياء، وقال: إن محمدًا رسول الله ﷺوأنا مؤمن به وموحد لله، وأقول لا إله إلا الله، ولكني أقول إن عيسى ابن مريم عليه السلام كذاب ليس برسول لله، أو موسى أو هارون أو داود أو سليمان أو نوحا أو هودًا أو صالحًا عليهم الصلاة والسلام، أو غيرهم ممن نص القرآن على نبوته ليسوا أنبياء، أو سبهم كفر إجماعًا، ولم ينفعه قول لا إله إلا الله، ولا شهادة أن محمدًا ﷺ رسول الله، ولا صلاته ولا صومه؛ لأنه أتى بما يكذب به الله ورسوله، وطعن في رسل الله، وهكذا لو أتى بكل شيء مما شرعه الله، وعبد الله وحده وصلى وصام، ولكنه يقول الزَّكاة ليست واجبة، من شاء زكى، ومن شاء لم يزك كفر إجماعا، وصار من المرتدين الذين يستحقون أن

تراق دماؤهم؛ لأنه قال: الزكاة غير واجبة؛ ولأنه خالف قول الله تعالى:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] وخالف النّصوص من السّنة الدّالة على أنّها فرض من فروض الإسلام، وركن من أركانه.

وهكذا لو ترك الصلاة، ولو قال: إنها واجبة، فإنه يكفر في أصح قولي العلماء كفرا أكبر؛ لقول النبي ﷺ: « **الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[٩] أخرجه أهل السنن بإسناد صحيح، وقول النبي ﷺ: « **إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ** »[١٠].

إلى غير ذلك، من الآيات والأحاديث الدالة على كفر تارك الصلاة، ومن أراد التفصيل في هذا الأمر، فليراجع باب حكم المرتد؛ ليعرف ما ذكر العلماء فيه من النواقض الكثيرة.

وبذلك يكون المؤمن على بصيرة في هذا الدين، ويعرف أن لا إله إلا الله هي أصل الدين، وهي أساس الملة مع شهادة أن محمدا ﷺ رسول الله، وأنه لا إسلام ولا إيمان ولا دين إلا بهاتين الشهادتين، مع الإيمان بكل ما جاء به رسول الله ﷺ، والالتزام بذلك، مع الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ، ومع الإيمان بفرائض الله، ومع الإيمان بمحارم الله، ومع الوقوف عند حدود الله.

---

(٩) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء في ترك الصلاة رقم (٢٦٢١)،وسنن ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء فيمن ترك الصلاة (١٠٧٩)،ومسند الإمام أحمد بن حنبل (٥/ ٣٤٦).

(١٠) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة رقم (٨٢) .

وهذا أمر أوضحه العلماء، وبينوه في كتبهم، وهو محل إجماع ووفاق بين أهل العلم، فينبغي لك يا عبد الله أن تكون على بصيرة، وألّا تنخدع بقول الجاهلين والضّالين من القبوريين وغيرهم، من عباد غير الله، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وجهلوا دين الله، حتى عبدوا مع الله غيره، ويزعمون أنّهم بذلك ليسوا كافرين؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله، وهم ينقضونها بأعمالهم وأقوالهم، وتعلم أيضا أن هاتين الشهادتين، اللّتين هما أصل الدين وأساس الملة ينتقضان، ينتقضان في حق من أتى بناقض من نواقض الإسلام .

فلو أن هذا الرجل أو هذه المرأة شهدا أَّلا إله إلا الله، وأن محمدا ﷺ رسول الله، وصليا وصاما إلى غير ذلك من أعمال البر، لكنهما يقولان: إنّ الجنة ليست حقيقة أو إن النّار ليست حقيقة، فلا جنة ولا نار؛ بل كله كلام ما له حقيقة، فإنهما يكفران بذلك القول كفرا أكبر بإجماع المسلمين.

ولو صلى الرجل وصام من قال ذلك، وزعم أنّه مسلم موحد لله وترك الشّرك، ولكنه يقول: إن الجنّة أو النّار ليستا حقا، ما هناك جنة ولا نار، أو قال: ما هناك ميزان، أو ما هناك قيامة، أو أنكر اليوم الآخر، فإنه بذلك يصير مرتدا كافرا ضالا عند جميع المسلمين.

أو قال: إن الله ما يعلم الغيب، أو لا يعلم الأشياء على حقيقتها، فإنه يكفر بذلك؛ لكونه بهذا القول مكذبا لقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ

عَلِيمٌ ﴾[الأنفال: ٧٥] وما جاء في معناها من الآيات؛ ولأنه قد تنقص ربه سبحانه وتعالى، وسبّه بهذا القول، وبهذا تعلم يا أخي أن شهادة ألَّا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، هي أصل الإيمان وهي أساس الملة، ولكنها لا تعصم قائلها إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام؛ بل لا بد من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

ولا بد مع ذلك من أداء فرائض الله، وترك محارم الله، فمن أتى بعد ذلك بناقض من نواقض الإسلام بطل في حقه قول لا إله إلا الله، وصار مرتدا كافرا، لكنه إن أتى بمعصية من المعاصي التي دون الشّرك نقص دينه، وضعف إيمانه، ولم يكفر كالذي يزني أو يشرب الخمر، وهو يؤمن بتحريمها فإن دينه يكون ناقصا، وإيمانه ضعيفا، وهو على خطر من دخول النّار والعذاب فيها إذا مات على ذلك، ولكنه لا يخلد فيها إذا كان قد مات موحدًا مسلمًا؛ بل له أمد ينتهي إليه حسب مشيئة الله سبحانه وتعالى، ولكنه لا يكون آمنا؛ بل هو على خطر من دخول النار؛ لأن إيمانه قد ضعف ونقص بهذه المعصية، التي مات عليها ولم يتب، كمن زنى أو سرق أو غيرها من الكبائر.

فالمخالفة لأمر الله قسمان :

قسم يوجب الرّدة، ويبطل الإسلام بالكلية، ويكون صاحبه كافرًا كالنّواقض التي أوضحتها سابقا.

والقسم الثاني: لا يبطل الإيمان ولكن ينقصه ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله وعقابه إذا لم يتب، وهذا القسم من جنس المعاصي التي يعرف مرتكبها أنها معاصي، ولكن لا يستحلها، كالذي مات على الزّنى، أو على الخمر، أو على عقوق الوالدين، أو على الربا ونحو ذلك؛ فهذا تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، لقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء:٤٨]؛ لأنه ليس بكافر؛ لكونه لم يستحل هذه الأمور، وإنّما فعلها اتّباعا للهوى والشيطان، أمّا من استحل الزّنى أو الخمر أو الرّبا، فإنّه يكفر كما تقدم بيان ذلك، فينبغي التّنبه لهذه الأمور، والحذر منها، وأن يكون المسلم على بصيرة من أمره؛ وهذا الذي ذكرناه هو قول أهل السنة والجماعة، وأصحاب رسول الله ﷺرضوان الله عليهم وأتباعهم بإحسان.

رزقني الله وجميع المسلمين الاستقامة على دينه، ومَنَّ علينا جميعا بالفقه في الدين، والثبات عليه، وأعاذنا الله جميعا من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

بيان أراء العلماء في تحديد نواقض الإسلام وذكرها بالجملة.

نواقض الإسلام كثيرة، حتى أن بعض العلماء أوصل عددها إلى أربعمائة، كلها تنقض الإسلام، كلها تبطل الدين، ولو صلى وصام، ولو قال: لا إله إلا الله، إذا أتى بواحد منها كفر، نسأل الله العافية، فإذا شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وصلى

وصام، وأدى الحقوق، وترك المحارم، هذا هو المسلم، ولكن متى أتى بناقض بطلت هذه الأعمال، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[المائدة:٥] وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام:٨٨] فإذا أتى بناقض من نواقض الدين، وكان قد وحد الله، وصلى، وصام، وأدّى الزّكاة، وحج، إلى غير ذلك، ولكنه يقول مثلاً: إن محمداً ﷺكتم بعض ما جاءه من الله سبحانه، أو ما أدّى وما بلغ البلاغ المبين، يعني: قصر، وما أدى الواجب؛ فمثل هذا كفر ولو صلى وصام، أو فعل كل ما أمر الله به؛ وكذلك لو صلى وصام، وفعل كل ما أمر الله به، لكنه يعبد البدوي، أو يعبد الحسين، أو يعبد الشمس، أو يعبد القمر، أو الجن، يدعوهم ويستغيث بهم ويطلب منهم المدد والعون، كذلك مثل هذا بطلت أعماله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ و كذلك لو استهزأ بالجنة، وقال: أن ما لها حقيقة، كلّه كذب، أو النّار ما لها حقيقة، كلّه كذب، كفر بإجماع أهل العلم وبطلت أعماله؛ لأن هذه مكفرات ونواقض في الإسلام، ولو صلى وصام؛ وكذلك لو قال: أن القرآن ليس بصحيح، أو ما هو بكلام الله، كفر إجماعاً -نسأل الله العافية- وكذلك لو استهان به فجعله تحت رجله، أو جلس عليه يستهين به، أو بال عليه أو على شيء منه، وهو يعلم ذلك ويدري أنه قرآن، كفر بذلك ـ نسأل الله العافية ـ ولو صلّى وصام(١١).

وقال ـ رحمه الله ـ: نواقض الإسلام كثيرة وليس لها حصر؛ لأن عددها قد يحصره زيد ولا يحصره عمرو، حسب آراء العلماء واجتهادهم واستنباطهم للأحكام من الأدلة الشرعية، فقد يعدها زيد -مثلاً- أربعمائة ناقض،

---

(١١) أسئلة الجامع الكبير المجموعة الأولى رقم (٧٧) .

ويعدها آخر خمسمائة ناقض؛ لأنه استنبطها من أدلة أخرى، فهذا يخضع للأدلة الشرعية، ونواقض الإسلام تخضع للأدلة الشّرعية.

ونواقض الإسلام كثيرة، ذكرها العلماء في باب حكم المرتد، فمن أرادها فليراجع هذا الباب العظيم، ويعتني به حتى يعرف منه نواقض الإسلام؛ ومن ذلك الشّرك بالله، وعبادة الأصنام، وأهل القبور، وذلك بالاستغاثة بهم والنّذر لهم؛ فكل هذا من الرّدة عن الإسلام، كل هذا من نواقض الإسلام، كذلك سبّ الدين من نواقض الإسلام، وسبّ الرسول ﷺمن نواقض الإسلام، وسب الله سبحانه من نواقض الإسلام، والتّنقص من الإسلام من نواقض الإسلام، والقول بأن الزنا ليس حراما من نواقض الإسلام، وإذا قال: أن الربا ليس حراما من نواقض الإسلام، وإذا قال: أن الظلم للناس ليس بحرام، هذا من نواقض الإسلام، وإذا قال: الصلاة ليست واجبة، هذا من نواقض الإسلام، وإذا قال: الزكاة ليست واجبة من نواقض الإسلام، وإذا قال: صوم رمضان ليس واجبا هذا من نواقض الإسلام، وإذا قال: الحج ليس واجبا مع الاستطاعة، هذا من نواقض الإسلام، وإذا قال: الغيبة حلال والنميمة حلال، هذا من نواقض الإسلام، هكذا له أقسام كثيرة، لكن من أراد أن يعرفها على الحقيقة وعلى تمامها، فعليه أن يراجع باب حكم المرتد، عليه أن يدرس هذا الباب في جميع

المذاهب الأربعة: الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وغيرهم، عليه أن يدرس هذا الباب، ويتأمل وينظر الأدلة الشرعية حتى يعرف النواقض[١٢].

تقسيم نواقض الاسلام إلى قولية وفعلية وعقدية.

فهذه العقيدة الإسلامية العظيمة، والتي مضمونها توحيد الله والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد ﷺ، وأنّه رسول الله حقاً، والإيمان بجميع المرسلين، مع الإيمان بوجوب الصّلاة والزّكاة والصّيام والحج، والإيمان بملائكة الله، وكتب الله ورسل الله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، والإيمان بكل ما أخبر الله ورسوله به، لكن العقيدة الإسلامية يمكن أن تتعرض عنده لنواقض تنقضها، ولقوادح تقدح في ما ادعاه منها؛ لذلك يجب أن نبينها في هذه القسم.

النواقض والقوادح لعقيدة الإنسان بالإسلام.

نواقض العقيدة قسمان :

١ـ قسم ينقض ما ادعاه من إيمان بعقيدة الإسلام ويبطله، ويكون صاحبه كافراً ـ نعوذ بالله ـ.

٢ـ وقسم ينقص إيمانه وعقيدته بالإسلام ويضعفها.

فالأول يسمى ناقض: فالذي يبطل عقيدة الإسلام ويفسدها، ويكون صاحبه بسببه كافراً مرتداً عن الإسلام، هذا يسمى ناقض، يسمى مفسد،

---

(١٢) نور على الدرب رقم (٢٧٢) .

فنواقض الإسلام وهي الموجبة للرّدة، كالأمور القولية والعملية الموجبة للردة، هذه تسمى نواقض، والنّاقض يكون قولاً، ويكون عملاً، ويكون اعتقاداً، ويكون شكاً، فقد يرتد الإنسان عن الإسلام بقول يقوله، أو بعمل يعمله، أو باعتقاد يعتقده، أو بشك يطرأ عليه، هذه أمور أربعة كلها يأتي منها الناقض، الذي يقدح في العقيدة ويبطلها، وقد ذكره أهل العلم في كتبهم، وسموه: باب حكم المرتد، فكل مذهب من مذاهب العلماء، وكل فقيه من الفقهاء ألف كتباً؛ ففي الغالب يذكر فيما ألف عندما يذكر الحدود، يذكر باب حكم المرتد، والمرتد: هو الذي يكفر بعد الإسلام، يعني الذي يرجع عن دين الله، ويرتد عنه، قال فيه النّبي ﷺ:«**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[١٣]، وفي صحيح البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه: «**أَنَّه جِيءَ بِيَهُودِي إِلَيهِ قَدْ أَسْلَمَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْيَهُوديّةِ وارْتَدَ - رجع إلى اليهودية في اليمن- فَجَاءَهُ مُعَاذٌ بْنُ جَبَلٍ وَقدْ بَعَثَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ إِلَى الْيَمنِ كَمَا بَعَثَ أَبَا مُوسَى، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ مُقَيَدٌ، فَقَالَ:مَا هَذَا؟ قَالَ أَبُو مُوسَى: هَذَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ أَسْلَمَ، ثُمَ رَجَعَ إِلَى دِينِهِ الْبَاطِلِ، وَجِيءَ بِهِ لِيُقْتَلَ إِنْ لَمْ يَرْجَعْ إِلَى الْحقِ، فَقَالَ مُعَاذٌ : لَا أَنْزِلْ حَتَى يُقْتَلْ، قَضَاءُ اللهِ وَرَسُولِهِ**»[١٤]، فأمر به فقتل؛ لأنّه أصرَّ

---

[١٣]أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: لا يعذب بعذاب الله رقم (٣٠١٧).

[١٤]أخرجه البخاري بمعناه في كتاب المغازي، باب: بعث أبا موسى ومعاذ رضي الله عنهما إلى اليمن رقم (٤٣٤١).

ألّا يرجع إلى الإسلام،[١٥] فقتل بين يدي أبي موسى و معاذ في اليمن، وقد كان النبي ﷺ قد بعثهما إلى اليمن أميرين ومعلمين ومرشدين وقاضيين.

فدل ذلك على أن المرتد عن الإسلام يقتل إذا لم يتب، حيث يُستتاب فإن تاب ورجع فالحمد لله، وإن لم يرجع وأصرّ على كفره وضلاله يقتل، ويعجل به إلى النّار؛ لقول النّبي ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[١٦].

بعض نواقض الإسلام القولية:

فالنّواقض التي تنقض الإسلام كثيرة، منها: سب الله ﷻ، هذا قول ينقض الدّين، أو العيب، كونه يقول: إن الله ظالم، أو إن الله بخـيل، أو إن الله فقــير، أو إن الله جلّ وعلا لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، كل هذه الأقوال ردّة عن الإسلام، فمن تنقص الله سبحانه أو سبّه أو عابه بشيء؛ وكذلك إذا سبّ الرّسول ﷺ، يعني: باللّعن والسّب لله ولرسولِهِ، فمن وقع بشيء من هذا، فهو كافر مرتد عن الإسلام، نعوذ بالله من ذلك.

وهذه ردة قوليّة: فإذا سب الله أو استهزأ به، أو تنقصه أو وصفه بأمر لا يليق به سبحانه، كما قالت اليهود: إنَّ الله بخيل، وإنَّ الله فقير ونحن أغنياء،

---

[١٥]) ولأنه والله أعلم أنه كان من خطط اليهود في التسبيط عن الإسلام أن يؤمنوا ثم يكفروا ليغروا من آمن من الناس بالكفر كما ذكر الله سبحانه عنهم في قوله: وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون، نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وغيرهما، قالوا: للسفلة من قومهم : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار، يعني أوله ومعنى الآية أن اليهود قال بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان بمحمدﷺ في أول النهار ثم اكفروا به آخره؛ فإنكم إذا فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعه ارتياب في دينه فيرجعون عن دينه إلى دينكم ، ويقولون إن أهل الكتاب أعلم به منا.

(١٦)سبق تخريجه .

أو نفى صفات الله سبحانه أو بعضها ولم يؤمن بها، فهذا يكون مرتداً بأقواله السّيئة، أو قال مثلاً: إنّ الله لم يوجب علينا الصّلاةَ، فهذا ردة عن الإسلام، فمن قال: إنّ الله لم يوجب الصلاة فقد ارتد عن الإسلام، بإجماع المسلمين، إلا إذا كان جاهلا بعيدا عن المسلمين وما يعرف حكمها، فمثل هذا يعلم، فإن أصرّ كفر، أمّا إذا كان بين المسلمين يعرف أمور الدين، فإذا قال: إنّ الصلاة ليست بواجبة علينا، فهذه ردّة، يستتاب من وقع في هذا، فإن تاب وإلا قتل، أو قال: الزّكاة غير واجبة على النّاس، أو صوم رمضان ليس بواجب على النّاس، أو الحج للبيت مع الاستطاعة غير واجب على النّاس، من قال هذه المقالات كفر إجماعاً، ويستتاب فإن تاب وإلا قتل نعوذ بالله من هذه الرّدة القولية.

بعض نواقض الإسلام الفعلية:

والردة الفعلية مثل: ترك الصلاة، كونه لا يصلي، وإن قال: إنها واجبة، لكن ما يصلي، هذه ردة على الأصح من أقوال العلماء؛ لقول النّبي ﷺ: « **الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(١٧)، وقوله ﷺ: « **بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ تَرْكَ الصَّلاَةِ** »(١٨) هذا شيء فعلي، وهو ترك الصلاة وعدم فعلها.

---

(١٧) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب: ترك الصلاة رقم (٢٦٢١)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء فيمن ترك الصلاة رقم (١٠٧٩) .

(١٨)أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة رقم(٨٢) .

من ذلك: لو استهان بالمصحف الشريف، فقعد عليه مستهيناً به، أو لطخه بالنجاسة عمداً، أو يطأه تحت أقدامه يستهين به، كل هذا ردة عن الإسلام، فهذه ردة فعلية نعوذ بالله من الوقوع في مثلها.

ومن الردة الفعلية كونه يطوف بالقبور، يعبد أهلها، فيطوف بالقبر كما يطوف بالكعبة، يعبد صاحبه ويتقرب إلى صاحبه بالطواف، كما يفعلون في بعض الأمصار، يطوفون بقبر الحسين في مصر، أو بقبور أخرى في بعض البلدان الأخرى، فالطواف بالقبور تقرباً إلى أهلها وعبادةً لهم، كفر وردة عن الإسلام؛ فإن فعله يقصد عبادة الله، فهو بدعة قادحة في الدين، لا يكون ردة، لكن تكون من النوع الثاني، فإذا طاف المسلم يحسب أن هذا عمل طيب، وأنه زين، وأنه قربة إلى الله، وأنه يطوف عند القبر، يحسب أنه لا يعبد صاحب القبر ولكن يعبد الله، فهذا بدعة قادحة في الدين، لكن ليست مثل قدح الكفر، بل هي دون الكفر، يكون صاحبها ابتدع بدعة تنقص دينه وتضعف إيمانه بسببها، لكن لا يخرج بها إلى الكفر، إذا كان ما قصد بالطواف عبادة الميت، وإنما قصد عبادة الله، يظن أن فعله هناك مناسب، فهذا يقال له بدعة، وهذا منكر ولا يجوز، والطواف يكون بالكعبة فقط.

ومن الكفر الفعلي: كونه يذبح لغير الله، يتقرب بالذبائح، يذبح البعير أو الشاة أو الدّجاجة أو البقرة لأصحاب القبور؛ تقرباً إليهم، يعبدهم بها، أو للجن يعبدهم بها، أو للكواكب يعبدهم بها، فهذا مما أُهلَّ به لغير الله،

فيكون ميتة، ويكون كفراً، نسأل الله العافية! هذا من أنواع الرّدة والنواقض الفعلية للإسلام.

بعض نواقض الإسلام العقدية:

ومن أنواع الرّدة العقدية: الأمور التي يعتقدها المسلم بقلبه، حيث لا تكلم ولا فعل، لكن اعتقادا يعتقده بقلبه، فإذا اعتقد بقلبه أنّ الله جلّ وعلا فقير، أو أنه بخيل، أو أنّه ظالم، ولو لم يتكلم، ولو لم يفعل شيئا، فهذا كفر مجرد عن القول والعمل، فهذا كفر العقيدة، فمن اعتقد بقلبه أن ما هناك بعث ولا نشور، وا عتقد أن كل هذا ما له حقيقة، فهذا من كفر العقيدة، فمن اعتقد بقلبه، أنه لا جنة ولا نار ولا حياة أخرى، فإذا اعتقد هذا بقلبه ولو لم يتكلم بشيء، يكون وقع بالكفر والردّة عن الإسلام، ـ نعوذ بالله ـ وتكون أعماله الصالحة باطلة، ويكون مصيره إلى النّار بهذه العقيدة، وكذا إذا اعتقد بقلبه وما تكلم، أن محمداً ﷺليس بصادق عليه الصلاة والسلام، أوليس برسول، أو اعتقد بقلبه أنّه ليس بخاتم الأنبياء، بل هناك أنبياء، أو اعتقد بقلبه أن مسيلمة الكذاب نبي صادق؛ يكون كافراً بهذه العقيدة، أو اعتقد بقلبه أن نوحا كاذب، أو موسى كاذب، أو عيسى كاذب، أو غيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، تكون منه ردّة عن الإسلام بهذه العقيدة التي في قلبه، ولو ما تكلم ولا فعل شيء، فيكفر بهذه العقيدة فقط.

أو اعتقد أنّه لا بأس أن يدعى مع الله غيره، ولا بأس أن يعبد مع الله غيره، ولا بأس أن يعبد النبي ﷺمع الله سبحانه، أو يعبد معه البدوي، أو يعبد معه فلان أو فلان، أو الكواكب، أو الشمس أو غير ذلك، فإذا اعتقد بقلبه أنه

لابأس أن يعبد مع الله أحـــد، كان هذا ردّة عن الإسلام، وناقضاً من نواقض الإسلام؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج:٦٢] ويقول سبحانه: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة:١٦٣] ويقول سبحانه: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥]ويقول

سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢] ويقول سبحانه: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[غافر:١٤] فمن زعم بقلبه واعتقد أنّه يجوز أن يعبد مع الله غيره، سواء ملك أو نبي أو شجر أو جن فهو كافر، وإن نطق بذلك وقال بلسانه ذلك صار كافراً بالقول وبالعقيدة جميعاً، وإن فعل ذلك، ودعا غير الله، واستغاث بغير الله؛ صار كافراً بالقول والعمل والعقيدة جميعاً، نسأل الله العافية.

فهذه تسمى نواقض وقوادح الإسلام، هذه نواقض لدين الله ـ نسأل الله العافية.

بعض نواقض الإسلام العقدية والفعلية والقولية:

ومن النواقض العقدية والفعلية والقولية: ما يفعله عباد القبور اليوم في كثير من الأمصار، من دعاء الأموات، والاستغاثة بالأموات، وطلب المدد منهم، حيث يقول أحدهم: يا سيدي فلان! المدد المدد، أوالغوث الغوث، أو أنا في جوارك اشف مريضي، أو رُدَّ غائبي، أو أصلح قلبي، أو انصرني على عدوي، يخاطب بهذا الميت، يخاطب الأموات الذين يسمونهم

بالأولياء، يسألونهم هذا السؤال، نسوا الله وأشركوا معه غيره سبحانه وتعالى، فهذا كفر قولي وعقدي وفعلي.

وبعضهم ينادي من بعيد وهو في أمصار بعيدة، ينادي: (يا رسول الله! انصرني، ينادي من أماكن بعيدة، وبعضهم عند قبره إذا جاء يُسَلِّمُ: يا رسول الله! اشف مريضي، يا رسول الله! المدد المدد، انصرنا على أعدائنا، أنت تعلم ما نحن فيه، انصرنا على أعدائنا، الرّسول ﷺما يعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلّا الله سبحانه وتعالى، هذا من الشّرك القولي والعقدي، وإذا اعتقد مع ذلك أن هذا جائز، وأنه لا بأس صار شرك عقدي قولي فعلي ـ نسأل الله العافية ـ وهذا واقع في الناس اليوم، ـ ولا حول ولا قوة إلَّا بالله ـ وهذا واقع في دول وبلدان كثيرة، وكان واقعاً في هذه البلاد، كان واقعاً في الرياض والدّرعية وسائر نجد، قبل دعوة الشيخ محمد رحمة الله عليه، كانت لهم آلهة في الرياض وفي الدرعية وفي كل مكان، أشجار تعبد من دون الله، وأناس يقال لهم: (الأولياء) يعبدونهم مع الله، وقبور تعبد مع الله، وكان موجودا قبر زيد بن الخطاب، زيد أخو عمر، وهو ممن قُتِل أيام مسيلمة، كان القبر موجودا في الجزيرة يعبد من دون الله، حتى هدم ذلك القبر، ونسي اليوم والحمد لله؛ بأسباب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، وقدس الله روحه، وأكرم مثواه، وجزاه الله عنّا وعن المسلمين أفضل الجزاء وأحسنه.

كانت نجد والحجاز فيها من الشّرك العظيم، والدّعوة لغير الله، وأنواع الاعتقادات الباطلة ما لا يحصى، فلما جاء رحمه الله في القرن الثاني عشر قبل

مائتي سنة وسنوات، ودعا إلى الله وأرشد النّاس؛ عاداه كثير من علماء وطنه، وعلماء بلاده الجهلة، وأهل الهوى، لكن الله أيده ونصره بعلماء الحق، وبما قام به من الحق، ودعوة الحق، فدعا إلى الله، وأرشد الناس إلى توحيد الله، وبين لهم أن عبادة الجن، وعبادة الأشجار والأحجار، ودعوة أصحاب القبور، هذا هو الشّرك، وهذا عمل الجاهلية، وهذه أعمال أبي جهل وأشباهه من كفار قريش، مع اللّات والعزّى ومناة، ومع قبور آلهة أخرى، فكانت هذه أعمالهم، فبيّن رحمه الله للنّاس، وهدى الله على يده من هدى، ثم عمت الدعوة والحمد لله بلاد نجد كلها، وانتشر فيها التوحيد والإيمان، وترك الناس الشّرك بالله، وعبادة القبور والأولياء، وكان بعضهم يعبد أناساً مهابيل، مهابيل ما عندهم عقول يعبدون مع الله، كانوا يسمونهم مجاذيب، ليس لهم عقول، يسمونهم بالأولياء ويعبدونهم، وهم لا عقول لهم، هذا من جهل الناس وضلالهم.

فهذه أمور تقدح في العقيدة وتنقضها نقضاً، يعني تبطلها، ويكون صاحبها مرتداً عن الإسلام، يجب أن يقتل بدليل: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١٩) كما قال النّبي ﷺ: وهذا بعد أن يُستتاب، يقال له ويبيّن له: أن هذا هو الشّرك، وهذا مما جاء طلب النهي عنه في السّنة، وأجمع عليه المسلمون، فيبيّن له إذا كان مثله يجهل، حتى يعرف الحق، حتى تتبيّن له الأدلة، فإذا وُضِّحَ له الأمر وَبُيِّنَ له الأمر، ثم لم يتب يقتل، ولو قال: ما أفهم ما أعرف الذي تقولون،

(١٩)سبق تخريجه .

ما يطاع؛ لأن الأدلة واضحة، إذا بين له الأمر كفى، إذا كان مثله يجهل، أما إذا كان من أهل العلم، ومن يعرف ثم يكابر، هذا يقتل والعياذ بالله!

فالمقصود أن من أتى بهذه الشّركيات، وهذه الكفريات يستتاب؛ إقامة للحجة عليه، وبراءة للذمة واحتياطاً، فإذا رجع إلى الحق وتاب وأناب؛ فالحمد لله ويخلى سبيله، وقد يؤدب إذا كان مثله يستحق التأديب؛ ردعاً لأمثاله؛ ولأن بعض الناس قد يقول: (تبت) وهو كاذب؛ ليتخلص من القتل، ولهذا رأى بعض أهل العلم: أنه إذا أتى بأمر من المنكرات الكفرية؛ فإنّه يستتاب ويؤدب، فإذا أظهر التّوبة يؤدب على فعله أو قوله زيادة؛ حتى لا يقدم على مثل هذا من سب الله سبحانه، أو سب الرّسول ﷺ، أو الاستهزاء بالدّين، وبعض أهل العلم قال: لا تقبل توبة، من سب الله سبحانه أو سب رسوله ﷺ فهذا يقتل أبداً ولا يستتاب؛ لأن سب الله كفر عظيم، فلا يستتاب صاحبه بل يقتل ولو قال: تبت، وهكذا من سب الرسول ﷺ.

النواقض المبنيّة على الشك:

ومن الردة التي تكون بالشك، الردة بالقول والردة بالعمل والردة بالعقيدة.

أما الردة بالشك والكفر بالشك: فتكون في مثل من يقول: أنا ما أدري عن ذات الله، هل هو حق أو غير ذلك أنا شاك؟ فهذا كافر، وكذلك الذي يقول: والله ما أدري صحة الأمر في محمد ﷺهل هو صادق؟ ما عندي خبر، هل هو صادق وإلا كاذب؟ وهل هو رسول أم ليس برسول أنا عندي

شك؟ فهذا كافر أيضاً كفر الشك، ـ نسأل الله العافية ـ أو قال: أنا ما أدري عن أمر البعث، هل هو حق أو غير ذلك؟ أو قال: ما أدري عن بعث الناس بعد الموت هل يبعثون؟ أو قال: لا أدري هل الجنة حق أم غير ذلك؟ وإذا قال في النار كذلك، ما عندي خبر فيها؟ فإذا كان مثل هذا بين المسلمين يقتل إذا لم يتب، أما إذا كان بعيد عن المسلمين في غابات أفريقا وغابات أمريكا، في محلات لا يصلها القرآن ولا السنة، يبيّن له كلام الله وكلام رسوله ﷺولو بالتّرجمة، فإذا أصرّ على ادعاء الشك، ولم يتب يقتل بسبب إصراره على الكفر بالشك؛ لأنه لابد من الإيمان، وإذا لم يكن له إيمان، فالشّك كفر ـ نسأل الله العافية ـ.

فالذي يشك في دينه ويقول: ما أدري، هل الله حق، وأنه لا يجوز أن يعبد إلا الله؟ أو يقول: لا أدري أن الرسول ﷺحق أم لا؟ أو هل هو صادق أو لا؟ أو هل هو خاتم النبيين أم ليس بخاتم النبيين؟ أو يقول: ما أدري عن مسيلمة هل كان كاذبا فيما ادعاه أنه رسول؟ وكذلك لو قال: عن الأسود العنسي الذي ادّعى النّبوة في اليمن هل كان كاذبا؟ وما أشبه ذلك، من هذه الشكوك المكفرة لصاحبها التي تعتبر ردة عن الإسلام ـ نعوذ بالله ـ.

ومن الشكوك المكفرة قول: أشك في الصلاة هل هي واجبة أم غير واجبة؟ أو أشك في وجوب الزكاة، أو أشك في رمضان هل هو واجب أم لا؟ أو قال: أشك في الحج مع الاستطاعة هل هو واجب على الإنسان في عمره مرة أم غير واجب؟ هذه كلها شكوك مكفرة ـ نعوذ بالله ـ، وتعتبر ردة عن الإسلام ـ ممن هو في ديار الإسلام؛ لأنها معلومة من الدين بالضرورة.

فلابد من الإيمان بأن توحيد الله حق، والجنة حق، والنار حق، والبعث حق، والصلاة حق، والصيام حق، والزكاة حق، والحج مع الاستطاعة حق، فلابد للمسلم أن يؤمن بهذا، فإذا كان عنده في هذه الأمور شك، صار كافراً بهذا الشك نعوذ بالله، فإن تاب بعدما يقرر ويبيّن له الصواب، فالحمد لله، وإلا صار مرتداً عن الإسلام، وصار هذا القادح ناقضاً لإسلامه، صار قادحاً في عقيدته، و ناقضا لإسلامه، وصاحبه مرتد نعوذ بالله.

العلة من ترتيب الحدود على من أتى بناقض من نوقض الإسلام.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ: في كتاب كشف الشّبهات: باب الرّدّ على شبهة أن من قال لا إله إلا الله لا يكفر، ولو اقترف ناقضا من نواقضها: وهكذا الأئمة عقدوا باباً سموه باب حكم المرتد، سواء في مذهب الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية، باب معروف أجمع عليه المسلمون عملاً بقول النّبي صلى الله عليه وسلم:«**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(٢٠) وقول معاذ بن جبل ﷺ فيمن بدل دينه: «يقتل قضاء الله ورسوله »لما أسلم يهودي ثم ارتد، قدم معاذ على أبي موسى وهو موجود عندهم يستتيبونه قال معاذ :«**لَا أَنْزِلُ حَتَى يُقْتَلَ قَضَاءُ اللهِ وَرَسُولِهِ** »(٢١)لأنه بدل دينه.. إلى آخر كلامه ـ رحمه الله ـ في هذا الباب (٢٢)].

(٢٠) سبق تخريجه .

(٢١) سبق تخريجه .

(٢٢)كشف الشبهات (ص ١١٥،١١٣).

فقال الشيخ ابن باز معلقًا على كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ أعلاه : الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فهذه المسألة مسألة مهمة عظيمة، أوضحها المؤلف رحمه الله وهي: تعلق المشركين بأحاديث مطلقة عامة في الأمر بالكف عمّن قال: لا إله إلا الله، كما ظنّوا أن من قالها لا يكفر ولو فعل ما فعل، وبعضهم ظنّ أنّه يكفر بأشياء دون الشّرك لجهله، فقوله ﷺ لـأسامة:«**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** »([٢٣])وقوله: « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا**»([٢٤]) دليل على ما درج عليه المؤلف والصّحابة ﷺوغيرهم في قتال المرتدين، والمعنى من ذلك أن من أظهر التّوحيد والإسلام كُفّ عنه، حتى يعلم منه ما يخالف ذلك، فالذي قتله أسامة ﷺظن أنه قالها تعوذاً خوفاً من السلاح فقتله، خطأه النّبي ﷺوبين له النّبي ﷺأن الواجب الكف عنه، حتى ينظر في أمره.

وهكذا كل إنسان لا يقول: لا إله إلا الله، من الكفار الذين يأبون أن يقولوها مثل كفار قريش، لما قال لهم قولوا: لا إله إلا الله؛ قالوا: كما ذكر الله سبحانه عنهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[سورة ص:٥] وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ

([٢٣]) رواه البخاري في كتاب المغازي ،باب: بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة رقم (٤٢٦٩).

([٢٤]) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب، باب: قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ رقم (٢٩).

﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾[الصافات:٣٥-٣٦] فالذين يجحدون لا إله إلا الله إذا قالوها يكف عنّهم حتى ينظر في أمرهم، فإن استقاموا ووحدوا الله، وأخلصوا له العبادة، والتزموا بالشّرع علم إسلامهم، ووجب وتم الكف عنهم، أمّا من قالها وهو لا يؤمن بمعناها ولا يعتقد معناها، يقول: لا إله إلا الله وهو يعبد غير الله، كما يفعل المنافقين، وكما فعل أصحاب مسيلمة، يقولون: لا إله إلا الله ويصلون، ويقولون: مسيلمة نبيّ، قد كذبوا قوله جل وعلا: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠] كيف يكون نبيّا، ومحمد خاتم الأنبياء، فلهذا قاتلهم الصّحابة؛ لأنهم زعموا في مسيلمة أنه نبي، وهذا كفر بالإجماع، ولو قالوا: لا إله إلا الله، وهكذا الذين حرقهم علي بن أبي طالب، زعموا أنّه إله، وأنّه هو الله، فحرقهم، وهم يقولوا: لا إله إلا الله، يقولون بألسنتهم ما لا يطابق أفعالهم.

وهكذا المنافقون يقولوا: لا إله إلا الله وهم يعتقدون بطلان الدّين، وأنه لا حقيقة له، ويقولون لا إله إلا الله رياءً وتعوذاً، ومع هذا قال الله في حقهم: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[النساء:١٤٥] ولن ينفعهم قول: لا إله إلا الله؛ لأنهم قالوها بالألسنة وكفروا في المعنى في الباطن.

﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[النساء:١٤٢-١٤٣] ما عندهم إيمان، فهكذا كل إنسان يقول:

لا إله إلا الله، ويشهد أن لا إله إلا الله وهو يعبد غير الله، أو ينكر البعث والنشور، أو ينكر وجوب الصلاة، أو يستحل الزّنا، أو يستحل الخمر، يكفر بذلك عند جميع المسلمين، ولو قال: لا إله إلا الله.[٢٥]

ولهذا عقد العلماء من كل مذهب باب حكم المرتد، قالوا: باب حكم المرتد، ثم فسروه فقالوا: المرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه، يعني هو الذي يأتي بناقض من نواقض الإسلام، فيكفر بذلك وإن قال: لا إله إلا الله، فلو كان يقول: لا إله إلا الله، ويصلي ويصوم، ولكن يقول: الزنا حلال من شاء زنى فلا بأس؛ كفر عند الجميع أهل العلم، أو قال: إنّ الخمر حلال؛ كفر عند جميع أهل العلم، أو قال: إن عقوق الوالدين حلال؛ كفر عند جميع أهل العلم.

فالواجب اليقظة والانتباه والتبصر والفقه في الدين، فالمسلم يرتد إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام، ولو أتى بالبقية، فإذا كان يعبد البدوي، أو يعبد النّبي صلى الله عليه وسلم، أو يعبد زينب أو يعبد الحسن أو الحسين أو علي، يعبدهم ويستغيث بهم كفر، ولم ينفعه قول: لا إله إلا الله، وهكذا يكفر إذا دعا الملائكة واستغاث بهم أو بالجن، ولو قال: لا إله إلا الله، وهكذا يكفر إذا دعا الأشجار أو الأحجار أو الأصنام، كما كانت تفعل قريش مع العزّى و اللّات و مناة.

[٢٥]) شرح كتاب كشف الشبهات لسماحة الشيخ عبدالعزيز ان باز رحمه الله (ص١٦،١٧)،

فالواجب على المسلم أن يتبصر، وأن يكون على بينة في دينه، فمن أشرك، هو مشرك وإن قال: لا إله إلا الله، والكافر كافر وإن قال: لا إله إلا الله، حتى يؤمن بمعناها، وحتى يؤدي حقها كما قال ﷺ:«**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا**»(٢٦)وفي اللفظ الآخر في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ** »(٢٧) فلابد من حق الإسلام وحق لا إله إلا الله، وهو الالتزام بدين الله، والحذر مما يسبب الشّرك، أو يسبب تكذيب الله ورسوله، ولو أن إنسانا يفعل كل عبادة، ويعتقد كل ما أوجب الله، ولكنه يقول مثلاً: ما هناك بعث ولا نشور، من مات مات، وما بعد ذلك بعث، كفر عند الجميع، ولو أنه كان يصوم ويصلي وليس بمشرك ولو أنّه أعبد الناس، إذا قال: ما هناك بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار كفر عند الجميع، وهكذا لو كان يؤمن بكل شيء ولكن يقول: الزّنا حلال، أو الخمر حلال، أو الصّلاة ما هي واجبة، أو صوم رمضان ما هو بواجب، أو الحج ما هو بواجب مع الاستطاعة كفر عند الجميع، فالواجب التّنبه لهذه الأمور، وأن يكون طالب العلم على بصيرة وألا يغتر بقول المرتدين، هؤلاء الجهلة الضالين، الذين يعبدون القبور ويستغيثون بالأموات، ويقولون: نحن مسلمون، نسأل الله العافية، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

---

(٢٦)سبق تخريجه .

(٢٧)أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: قوله تعالى:﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾ رقم (٢٥) .

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على من لا نبيّ بعده، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فاعلم أيّها المسلم أن الله سبحانه أوجب على جميع العباد الدّخول في الإسلام، والتّمسك به والحذر مما يخالفه، وبعث نبيّه محمدًا ﷺللدعوة إلى ذلك، وأخبر عزّ وجل أن من اتبعه فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد ضل؛ وحذر كتاب الله الكريم في آيات كثيرات من أسباب الرّدة، وسائر أنواع الشّرك والكفر، وذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ في باب حكم المرتد، أن المسلم قد يرتد عن دينه، بأنواع كثيرة من النّواقض، التي تُحل دمه وماله، ويكون بها خارجا من الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعا، عشرة نواقض ذكرها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ، وغيره من أهل العلم رحمهم الله جميعا، ونذكرها لك فيما يلي أيها المسلم! على سبيل الإيجاز لتحذرها وتُحذِّر منها غيرك، رجاء السّلامة والعافية منها، مع توضيحات قليلة نذكرها بعدها.

الناقض الأول: من النّواقض العشرة: الشّرك في عبادة الله، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا

لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[المائدة: ٧٢] ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنّذر والذّبح لهم(٢٨).

إيضاح حقيقة الشرك ومعناه.

الشّرك: على اسمه هو تشريك غير الله مع الله في العبادة، كأن يدعو الأصنام أو غيرها ، يستغيث بها أو ينذر لها أو يصلي لها أو يصوم لها أو يذبح لها(٢٩).

فالشّرك هو أعظم الذنوب، وهو أعظم الجرائم، وهو الذي جرى فيه النزاع بين الرسل وبين الأمم ، فالأمم كانت على الشرك إلا من هداه الله وحفظ من أفراد الناس، والرسل تدعوهم إلى توحيد الله والإخلاص له، وكان هذا الشّرك قد حدث في قوم نوح بأسباب غلوهم في ود وسواع ويغوث ويعوق ونسراً، لما غلوا فيهم وعظموهم التّعظيم الذي نهى الله عنه، وقعوا في الشّرك بعد ذلك، وصاروا يستغيثون بهم، وينذرون لهم، ويذبحون لهم، فلما ظهر فيهم هذا الشّرك بعث الله إليهم نوحاً عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله، وينذرهم هذا الشّرك ويحذرهم منه، ولم يزل فيهم يدعوهم إلى الله، ويأمرهم بالإخلاص لله سبحانه وتعالى، والتوبة إلى الله من شركهم، ولكنهم استمروا على طغيانهم وضلالهم إلا القليل، فبعد ذلك أمره الله

---

(٢٨) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (١/ ١٣١) .

(٢٩) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (٤/ ٣٢) .

بصنع السّفينة، وأن يحمل فيها من آمن معه، ومن كل زوجين اثنين، وأهلك الله أهل الأرض، وأغرقهم بسبب كفرهم وشركهم بالله سبحانه وتعالى[30].

أنواع الشـــرك [31]

الشرك أنواعه ثلاثة، والحقيقة أنه نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

فالشرك الأكبر: هو ما يتضمن صرف العبادة لغير الله أو بعضها، أو يتضمن جحد شيء مما أوجب الله من الأمور المعلومة من الدّين بالضّرورة، كالصّلاة، وصوم رمضان، أو يتضمن جحد شيء مما حرم الله، مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر ونحوها، أو يتضمن طاعة المخلوق في معصية الخالق، على وجه الاستحلال لذلك، وأنه يجوز أن يطاع فلان أو فلانة، فيما يخالف دين الله عزّ وجل، من رئيس أو وزير أو عالم أو غيرهم؛ فكل ما يتضمن صرف بعض العبادة لغير الله كدعاء الأولياء، والاستغاثة بهم والنّذر لهم، أو يتضمن استحلال ما حرم الله، أو إسقاط ما أوجب الله، كاعتقاد أن الصّلاة لا تجب، أو الصوم لا يجب أو الحج مع الاستطاعة لا يجب، أو الزّكاة لا تجب، أو اعتقد أن مثل هذا غير مشروع مطلقا، كان هذا كفرًا أكبر، وشركا أكبر؛ لأنه يتضمن تكذيب الله سبحانه ورسوله ﷺ. وهكذا لو اعتقد حل ما حرم الله مما هو معلوم من الدّين بالضّرورة كاستحلال الزنا والخمر، وعقوق الوالدين، أو استحل قطع الطريق أو

---

(30) نور على الدّرب (٢٢٦) .

(31) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (١/ ٤٤).

كاللواط و أكل الربا، وما أشبه ذلك من الأمور المعروف تحريمها بالنّص والإجماع، إذا اعتقد حلها كفر إجماعا، نسأل الله العافية، وصار حكمه حكم المشركين شركا أكبر.

وهكذا من استهزأ بالدّين، وسخر به حكمه حكمهم، وكفره كفر أكبر، كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[التوبة: ٦٥ - ٦٦]، وهكذا لو استهان بشيء مما عظمّه الله احتقارًا له، وازدراءً به، كأن يستهين بالمصحف، أو يبول عليه، أو يطأ عليه، أو يقعد عليه، أو ما أشبه ذلك من الاستهانة به، كفر إجماعا؛ لأنه بذلك يكون متنقصًا لكتاب الله، محتقرا له؛ لأن القرآن كلامه سبحانه وتعالى، فمن استهان به، فقد استهان بالله عز وجل، وهذه الأمور قد أوضحها العلماء في باب حكم المرتد، ففي كل مذهب من المذاهب الأربعة، ذكر باب سموه باب حكم المرتد، وأوضحوا فيه جميع أنواع الكفر والضلال، وهو باب جدير بالعناية، ولا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه أنواع الردة، والتبس الأمر في ذلك على كثير من النّاس، فمن عني به حق العناية عرف نواقض الإسلام، وأسباب الردة، وأنواع الكفر والضلال.

والنوع الثاني: الشرك الأصغر ، وهو ما ثبت بالنصوص تسميته شركًا، لكنه لم يبلغ درجة الشّرك الأكبر، فهذا يسمى شركا أصغر مثل: الرّياء والسمعة كمن يقرأ يرائي، أو يصلي يرائي، أو يدعو إلى الله يرائي ونحو ذلك.

فقد ثبت في الحديث أنه ﷺقال:« **أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: الرِّيَاءُ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُرائِينَ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»[٣٢] رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن محمود بن لبيد الأشهلي الأنصاري ﷺ ورواه الطبراني أيضا والبيهقي، وجماعة مرسلا عن محمود المذكور، وهو صحابي صغير لم يسمع من النّبي ﷺ، ولكن مرسلات الصحابة صحيحة وحجة عند أهل العلم، وبعضهم حكاه إجماعا.

ومن ذلك قول العبد: ما شاء الله وشاء فلان، أو لولا الله وفلان، أو هذا من الله ومن فلان؛ هذا كله من الشرك الأصغر، كما في الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد صحيح عن حذيفة ﷺ، عن النبي صلى ﷺ أنه قال: «**لاَ تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ** »[٣٣] ومن هذا ما رواه النسائي عن قتيلة: أن اليهود قالوا لأصحاب النّبي ﷺ: « **إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ** »[٣٤] فأمرهم النّبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله

---

[٣٢] أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده مع اختلاف بسيط في لفظه برقم (٤٢٨/٥)ولفظه :« إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ ». قَالُوا وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ الله قَالَ :« الرِّيَاءُ يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً » .

[٣٣] أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب: لا يُقال: خبثت نفسي رقم (٤٩٨٠)،مسند أحمد بن حنبل (٣٩٩/٥).

[٣٤] أخرجه النسائي في كتاب الأيمان والنذور، باب: الحلف بالكعبة رقم (٣٧٧٣) .

ثم شاء محمد} وفي رواية للنّسائي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال: يا رسول الله: « **مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ ﷺ: أَجَعَلْتَنِي لله نِدًا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ** »(٣٥) ومن ذلك ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٢] قال: هو الشّرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النّمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللّصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا؛ هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن.

فهذا وأشباهه من جنس الشّرك الأصغر؛ وهكذا الحلف بغير الله، كالحلف بالكعبة، والأنبياء والأمانة وحياة فلان، وبشرف فلان ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأصغر؛ لما ثبت في المسند بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:« **مَنْ حَلَفَ بِشَيءٍ دُونَ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ** »(٣٦) وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي رحمهم الله بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « **مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ** » (٣٧).

---

(٣٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم (١٨٣٩) .

(٣٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقم (١/ ٤٧) .

(٣٧) أخرجه أبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب: كراهية الحلف بالآباء رقم (٣٢٥١)، والترمذي في كتاب الأيمان ولنذور، باب: كراهية الحلف بغير الله رقم (١٥٣٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل رقم (٢/ ٦٩)

وهذا يحتمل أن يكون شكا من الرّاوي، ويحتمل أن أو بمعنى الواو، والمعنى: فقد كفر وأشرك؛ ومن هذا ما رواه الشيخان عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ** »(٣٨) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وهذه أنواع من الشّرك الأصغر، وقد يكون أكبر على حسب ما يكون في قلب صاحبه، فإذا كان في قلب الحالف بالنّبي ﷺأو البدوي أو الشيخ فلان، أنّه مثل الله سبحانه، أو أنّه يدعى مع الله سبحانه، أو أنّه يتصرف في الكون مع الله سبحانه أو نحو ذلك، صار شركا أكبر بهذه العقيدة، أمّا إذا كان الحالف بغير الله لم يقصد هذا القصد، وإنما جرى على لسانه من غير هذا القصد؛ لكونه اعتاد ذلك، كان ذلك شركا أصغر.

وهناك شرك يقال له الشّرك الخفي: ذكر بعض أهل العلم أنه قسم ثالث، واحتج عليه بقوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:أن النّبي ﷺ قال: « **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فيُصَلِّى فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ** »(٣٩) خرجه الإمام أحمد .

---

(٣٨) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب: كيف يستحلف رقم (٢٦٧٩)،وصحيح مسلم في كتاب الأيمان، باب: النّهي عن الحلف بغير الله رقم(١٦٤٦).

(٣٩) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب: الرّياء والسمعة رقم (٤٢٠٤)،ومسند أحمد بن حنبل رقم(٣/ ٣٠).

والصواب: أن هذا ليس قسما ثالثا، بل هو من الشرك الأصغر، وهو قد يكون خفيا؛ لأنه يقوم بالقلوب، كما في هذا الحديث، وكالذي يقرأ يرائي، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يرائي، أو يجاهد يرائي، أو نحو ذلك. وقد يكون خفيا من جهة الحكم الشرعي، بالنسبة إلى بعض الناس، كالأنواع التي في حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق؛ وقد يكون خفيا وهو من الشرك الأكبر، كاعتقاد المنافقين؛ فإنهم يراءون بأعمالهم الظاهرة، وكفرهم خفي لم يظهروه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢ - ١٤٣] الآية،والآيات في كفرهم وريائهم كثيرة، نسأل الله العافية.

وبما ذكرنا يعلم أنّ الشّرك الخفي، لا يخرج عن النوعين السابقين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وإن سمي خفيا لخفاء أصله، فالشرك يكون خفيا ويكون جليا.

فالجلي: دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات والنذر لهم، ونحو ذلك.

والخفي: ما يكون في قلوب المنافقين يصلون مع النّاس، ويصومون مع النّاس، وهم في الباطن كفار يعتقدون جواز عبادة الأوثان والأصنام، وهم على دين المشركين؛ فهذا هو الشّرك الخفي؛ لأنّه في القلوب.

وهكذا الشّرك الخفي الأصغر: كالذي يقصد بقراءته ثناء النّاس، أو بصلاته أو بصدقته مدح الناس، أو ما أشبه ذلك، فهذا شرك خفي، لكنه شرك أصغر.

فاتضح بهذا أن الشّرك شركان: أكبر، وأصغر، وكل منهما يكون خفيا: كشرك المنافقين، وهو أكبر، ويكون أصغرا خفيا، كالذي يقوم يرائي في صلاته أو صدقته أو دعائه لله، أو دعوته إلى الله، أو أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر، أو نحو ذلك.

فالواجب على كل مؤمن: أن يحذر ذلك، وأن يبتعد عن هذه الأنواع، ولاسيما الشّرك الأكبر، فإنّه أعظم ذنب عصي الله به، وأعظم جريمة وقع فيها الخلق، وهو الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال فيه سبحانه وبحمده: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة: ٧٢]،وقال فيه سبحانه أيضا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ،فمن مات عليه فهو من أهل النار جزما، والجنة عليه حرام، وهو مخلد في النار أبد الآباد نعوذ بالله من ذلك.

أمّا الشّرك الأصغر، فهو أكبر من الكبائر، وصاحبه على خطر عظيم، لكن قد يمحى عن صاحبه برجحان الحسنات، وقد يعاقب عليه ببعض

العقوبات، لكن لا يخلد في النّار خلود الكفار، فليس هو مما يوجب الخلود في النار، وليس مما يحبط الأعمال، ولكن يحبط العمل الذي قارنه.

فالشرك الأصغر، يحبط العمل المقارن له، كمن يصلي يرائي فلا أجر له؛ بل عليه إثم.

وهكذا من قرأ يرائي فلا أجر له. بل عليه إثم، بخلاف الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، فإنهما يحبطان جميع الأعمال، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام: ٨٨]،فالواجب على الرجال والنساء، وعلى العالم والمتعلم، وعلى كل مسلم، أن يعنى بهذا الأمر ويتبصر فيه، حتى يعلم حقيقة التوحيد بأنواعه، وحتى يعلم حقيقة الشّرك بنوعيه: الأكبر والأصغر، وحتى يبادر بالتّوبة الصّادقة مما قد يقع منه من الشرك الأكبر، أو الشرك الأصغر، وحتى يلزم التوحيد، ويستقيم عليه، وحتى يستمر في طاعة الله، وأداء حقه، فإنّ التوحيد له حقوق، وهي أداء الفرائض، وترك المناهي، فلا بد مع التوحيد من أداء الفرائض، وترك المناهي، ولا بد أيضا من ترك الإشراك كله: صغيره وكبيره .

فالشرك الأكبر ينافي التوحيد، وينافي الإسلام كليا. والشرك الأصغر ينافي كماله الواجب، فلا بد من ترك هذا وهذا.

فعلينا جميعا أن نعتني بهذا الأمر، ونتفقه فيه، ونبلغه للنّاس بكل عناية وبكل إيضاح، حتى يكون المسلم على بينة من هذه الأمور العظيمة.

والله المسؤول عزّ وجل أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع، والعمل الصالح، وأن يمنحنا والمسلمين جميعا الفقه في دينه، والثبات عليه، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، ويجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

التوحيد وأقسامه(٠)

التوحيد : مصدر وحد يوحد توحيدا، يعني: وحد الله أي اعتقد أنه واحد لا شريك له في ربوبيته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في ألوهيته وعبادته، سبحانه وتعالى.

فهو واحد جلّ وعلا، وإن لم يوحده الناس، وإنّما سمي إفراد الله بالعبادة توحيدا؛ لأن العبد باعتقاده ذلك، يكون قد وحد الله عزّ وجل، واعتقد أنه سبحانه وتعالى واحد، فعامله على ضوء ذلك بإخلاص العبادة له سبحانه، وبدعوته له وحده، والإيمان بأنه مدبر الأمور وخالق الخلق، وأنه صاحب الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة، وأنه يستحق العبادة دون كل ما سواه.

فتوحيد الله هو إفراده بالعبادة عن إيمان، وعن صدق ، وعن عمل، لا مجرد كلام، ومع اعتقاده بأن عبادة غيره باطلة، وأن عباد غيره مشركون، ومع البراءة منهم، كما قال عز وجل: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا

(٠) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (١/ ٣٤).

وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[الممتحنة:٤] وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧] فتبرأ من عُبَّادِ غير الله، ومما يعبدون [41].

وعند التفصيل تكون أنواع التوحيد ثلاثة[42]:

توحيد الرّبوبية ، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات ، فتوحيد الربوبية أقرّ به المشركون ولم ينكروه، لكنهم لم يدخلوا به في الإسلام؛ لأنّهم لم يخصوا الله بالعبادة، ولم يقروا بتوحيد الألوهية، بل أقروا بأن ربّهم هو الخالق الرّازق، وأن الله هو ربهم، ولكنهم لم يوحدوه بالعبادة، فقاتلهم النّبي ﷺحتى يخلصوا العبادة لله وحده.

فتوحيد الرّبوبيّه معناه: الإقرار بأفعال الرّب، وتدبيره للعالم، وتصرفه فيه، هذا يسمى: توحيد الرّبوبية، وهو الاعتراف بأنّه الخلّاق الرّزاق مدبر الأمور ومصرفها، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز ويذل، ويحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.

وهذا في الجملة أقر به المشركون، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[الزخرف: ٨٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(41) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (٢/ ٢٠).

(42) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (١/ ٣٥).

وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[لقمان: ٢٥] وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس: ٣١]، فهم معترفون بهذه الأمو، لكنهم لم يستفيدوا من هذا الإقرار؛ لأنهم لم يقوما في توحيد الله بالعبادة، وإخلاصها له سبحانه وتعالى؛ بل اتخذوا معه وسائط، وزعموا أنها شفعاء، وأنها تقربهم إلى الله زلفى، كما قال تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[يونس: ١٨]فقال سبحانه ردا عليهم: ﴿ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[يونس: ١٨]، فهو سبحانه لا يعلم له شريكا، لا في السماء ولا في الأرض؛ بل هو الواحد الأحد، سبحانه وتعالى، الفرد الصمد، المستحق للعبادة جلّ وعلا، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾[الزمر: ٢ – ٣] ثم قال سبحانه: ﴿ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[الزمر: ٣]والمعنى: يقولون ما نعبدهم إلّا ليقربونا إلى الله زلفى، يعني: ما عبدناهم؛ لأنهم يضرون وينفعون، أو لأنهم يخلقون ويرزقون، أو لأنهم يدبرون الأمور، ولكن عبدناهم؛ ليقربونا إلى الله زلفى، وليشفعوا لنا عنده، كما قالوا: في الآية السابقة من سورة يونس﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ وعرف بهذا أنّهم لم يعتقدوا أن آلهتهم تنفع وتضر، وتحيي وتميت، وترزق وتعطي وتمنع، وإنّما عبدوهم ليشفعوا لهم وليقربوهم إلى الله زلفى، فاللات

والعزّى ومناة والمسيح ومريم والصالحون من العباد، كل هؤلاء ما عبدهم المشركون الأولون، لأنهم ينفعون ويضرون، بل عبدوهم لأنهم يرجون شفاعتهم، وأن يقربوهم إلى الله زلفى، فحكم الله عليهم بالشرك في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[يونس: ١٨]، وقال في آية الزمر: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣] فحكم عليهم بالكفر والكذب، حين قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فبيّن أنّهم كذبة في زعمهم أنّهم يقربونهم إلى الله زلفى، وأنهم كفرة بهذا العمل، وهو عبادتهم إيّاهم بالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة ونحو ذلك.

وقد دعاهم ﷺ عشر سنين يقول لهم: «**يَا قَوم قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»(٤٣) فأعرض عنه الأكثرون، ولم يهتد إلّا الأقلون، ثم أجمع رأيهم على قتله، فأنجاه الله من شرّهم ومِنْ كيدهم، وهاجر إلى المدينة عليه السلام فأقام بها شريعة الله ودعا فيها إلى الله، وتقبل الدعوة الأنصار رضي الله عنهم وجاهدوا معه ﷺ وجاهد معه المهاجرون من قريش، ومن غيرهم حتى أظهر الله دينه، وأعلى كلمته، وأذل الكفر وأهله.

---

(٤٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٣/ ٤٩٢).

وهذا النوع الذي أقرّ به المشركون هو توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بأفعاله في خلقه، من خلق ورزق وتدبير، وإحياء وإماتة وغير ذلك من أفعاله سبحانه كما سبق بيانه، وهو حجة عليهم في إنكارهم توحيد الله بالعبادة؛ لأن توحيد الربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية، والعبادة لله سبحانه، ويدل عليه ويوجبه؛ فلهذا أقام الله الحجة عليهم بهذا الإقرار فقال: ﴿ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس:٣١] وفي الآيات الأخرى أفلا تعقلون، أفلا تذكرون.

ومن تدبر هذا الأمر الذي أقروا به، استفاد لو عقل أن هذا المتصف بهذه الصّفات، هو المستحق لأن يعبد، ما دام هو الخلّاق وهو الرّزاق وهو المحيي وهو المميت، وهو المعطي وهو المانع، وهو المدبر للأمور، وهو العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء، فكيف تصرف العبادة لغيره، بل كيف يرجى غيره، ويخاف غيره لو عقل أولئك الكفار، ولكنهم لا يعقلون: ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[المجادلة:١٩] وقال سبحانه في المنافقين: ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٨] وهكذا أشباههم كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾[الأعراف: ١٧٩]، فهؤلاء هم الغافلون حقا وهم أشباه الأنعام؛ بل هم أضل منها، كما وصفهم الله بذلك في آيات بيّنات، وحجج نيّرات، وبراهين ساطعات،

ومع ذلك لم يفهموها ولم يعقلوها، واستمروا على كفرهم وضلالهم، حتى حاربوه ﷺ يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الخندق ـ يوم الأحزاب ـ واستمروا في كفرهم وضلالهم، ولم تنفع فيهم الآيات، ولم يستفيقوا من غفلتهم وإعراضهم، ولله الحكمة البالغة سبحانه وتعالى والحجة الدامغة.

ثم إنّه سبحانه أظهر نبيّه، وأعزّ دينه، وقهر الأعداء، فغزاهم ﷺ يوم الفتح، ونصره الله عليهم، وفتح بلادهم، ودخلوا في دين الله أفواجا، وعند ذلك أظهر ﷺ توحيد الألوهية وقبله الناس، ودخلوا في الحق، ثم قامت ضده هوازن ، وأهل الطائف فأظهره الله عليهم، وشتت شملهم، واستولى عليه السلام على نسائهم وذرياتهم وأموالهم، وجعل الله العاقبة والنصر لنبي ﷺ، ولعباده المؤمنين فالحمد لله على ذلك.

والنوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات، وهو أيضا من جنس توحيد الربوبية، قد أقروا به وعرفوه. وتوحيد الربوبية يستلزمه؛ لأن من كان هو الخلّاق الرّزاق والمالك لكل شيء، فهو المستحق لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شريك له، ولا شبيه له، ولا تدركه الأبصار وهو السميع العليم، كما قال سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] وكما قال عزّ وجل: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١- ٤] وهم أي الكفار،

يعرفون ربّهم بأسمائه وصفاته، وقد كابر بعضهم فأنكر اسم الرحمن، فأكذبهم الله بقوله سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠].

النوع الثالث : هو توحيد الله بالعبادة، وهو معنى لا إله إلا الله، فإن معناها لا معبود بحق إلا الله، فهي تنفي العبادة بجميع أنواعها عن غير الله، وتثبتها لله وحده سبحانه وتعالى.

وهذه الكلمة هي أصل الدّين وأساسه كله، وهي الكلمة التي دعا إليها النّبي ﷺ قومه، ودعا إليها عمه أبا طالب فلم يسلم، ومات على دين قومه.

وقد أوضح الله سبحانه معناها في مواضع كثيرة من الكتاب الكريم، منها قوله سبحانه: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقوله جل وعلا: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣] وقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] وقوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]، إلى غير ذلك من الآيات، وكلها تفسر هذه الكلمة، وتوضح أن معناها: إبطال العبادة لغير الله، وإثبات العبادة بحق لله وحده جلّ وعلا، كما قال سبحانه في سورة الحج: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢] وقال في سورة لقمان: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا

يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [لقمان:٣٠] فالله سبحانه وتعالى هو الحق، وله دعوة الحق، وعبادته هي الحق دون كل ما سواه سبحانه وتعالى، فلا يستغاث إلّا به، ولا ينذر إلّا له، ولا يتوكل إلّا عليه، ولا يطلب الشّفاء إلا منه، ولا يطاف إلا ببيته العتيق، إلى غير هذا من أنواع العبادة، وهو الحق، ودينه الحق سبحانه وتعالى، ومن أتقن هذه الأنواع الثلاثة: أعني أنواع التوحيد، وحفظها واستقام على معناها، علم أن الله هو الواحد حقا، وأنّه هو المستحق للعبادة دون جميع خلقه، ومن ضيع واحدًا منها أضاع الجميع فهي متلازمة، لا إسلام إلا بها جميعًا، ومن أنكر صفات الله وأسماءه ، فلا دين له، ومن زعم أن مع الله مصرفًا للكون يدبر الأمور، فهو كافر مشرك في الربوبيّة بإجماع أهل العلم.

ومن أقر بتوحيد الرّبوبية والأسماء والصفات، ولكن لم يعبد الله وحده؛ بل عبد معه سواه من المشايخ أو الأنبياء، أو الملائكة أو الجن أو الكواكب أو الأصنام، أو غير ذلك، فقد أشرك بالله وكفر به سبحانه، ولا تنفعه بقية الأقسام لا توحيد الربوبية، ولا توحيد الأسماء والصّفات، حتى يجمع بين الثلاثة، فيقر بأن الله ربه، هو الخالق الرّازق المالك لجميع الأمور، ويقر بما كفر به المشركون، وحتى يؤمن بأنّه سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا شبيه له، ولا شريك له، كما قال عز وجل: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [الإخلاص: ١- ٤]، وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ

وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤] وقال عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] .

الثالث: وهو توحيد العبادة ، هو معنى لا إله إلا الله، وهو الأساس العظيم لدعوة الرّسل؛ لأن النوعين الآخرين لم ينكرهما المشركون كما تقدم، وإنّما أنكروا هذا النوع وهو توحيد العبادة، لما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله، قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص: ٥]، وقالوا أيضا:﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴾ [الصافات: ٣٦] وقبلها قوله سبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴾[الصافات: ٣٥ - ٣٦] فكذبهم الله بقوله: ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الصافات: ٣٧] وهذا النوع هو توحيد العبادة، وهو الذي أنكره المشركون الأولون، وينكره المشركون اليوم، ولا يؤمنون به؛ بل عبدوا مع الله سواه، فعبدوا الأشجار والأحجار وعبدوا الأصنام، وعبدوا الأولياء والصالحين، واستغاثوا بهم، ونذروا لهم وذبحوا لهم، إلى غير هذا مما يفعله عباد القبور، وعباد الأصنام والأحجار وأشباههم، وهم بذلك مشركون كفار، إذا ماتوا على ذلك لم يغفر لهم، كما قال سبحانه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء: ٤٨] وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه:﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ

أَنصَارٍ ﴾[المائدة: ٧٢] فلا بد من تحقيق هذا النّوع، وإفراد الله بالعبادة ونفي الإشراك به سبحانه وتعالى، والاستقامة على ذلك، والدعوة إليه، والموالاة فيه، والمعاداة عليه، وبسبب الجهل بهذا النوع، وعدم البصيرة فيه يقع الناس في الشرك ويحسبون أنّهم مهتدون، كما قال عز وجل:﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الأعراف: ٣٠] وقال في حق النصارى وأمثالهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[الكهف: ١٠٣ - ١٠٤] فالكافر لجهله وانتكاس قلبه، يحسب أنّه محسن، وهو يعبد غير الله، ويدعو غير الله، ويستغيث بغير الله، ويتقرب بالذبائح والنذور لغيره عز وجل، وما ذلك إلّا لجهله وقلة بصيرته، وقد أنزل الله فيهم عزّ وجل قوله:﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٤٤] وقوله عز وجل:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾[الأعراف: ١٧٩].

فالواجب على أهل العلم، وعلى طلاب العلم أن يعنوا بهذا النّوع أعظم عناية، لكثرة الجهل به، ووقوع أكثر الخلق في ضده.

أمّا النوعان الآخران: فهما بحمد الله من أوضح الأشياء وأبينها، لكن هذا النوع أعني: توحيد العبادة يشتبه على أكثر النّاس؛ بسبب الشّبه الكثيرة التي

يروجها أعداء الله، ويلبسون بها على كثير من الناس، والأمر فيها بحمد الله واضح لمن نور الله بصيرته وهي شبه باطلة لا وجه لها.

فالحق واضح أبلج، وهو وجوب إخلاص العبادة لله وحده، دون كل ما سواه، كما قال عز وجل: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[غافر: ١٤] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾[الجن: ١٨] وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[يونس: ١٠٦]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾[فاطر: ١٣ - ١٤]، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[المؤمنون: ١١٧] وهناك آيات كثيرات، كلها دالة على وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأن صرف العبادة لغير الله شرك وكفر، وهكذا لو اعتقد أن شخصا أو جمادا يصلح أن يعبد كفر، وإن لم يعبده، فلو اعتقد أن هذا الصنم، أو هذا الشخص لجبرائيل أو النّبي محمد ﷺ، أو الشيخ عبد القادر الجيلاني أو البدوي أو الحسين، أو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لو اعتقد أن واحدًا منهم أو غيرهم يصلح للعبادة، وأنه لا بأس أن يدعى من دون الله، ولا بأس أن يستغاث به صار كافرا، وإن لم يفعل شيئا.

وهكذا لو اعتقد أنهم يعلمون الغيب، أو يتصرفون في الكون كان كافرًا؛ بهذا الاعتقاد، عند جميع أهل العلم، فكيف إذا دعاهم من دون الله، أو استغاث بهم أو نذر لهم، فإنه يكون بذلك مشركا شركًا أكبر.

وهكذا إذا سجد لهم، أو صلّى لهم أو صام لهم، صار بذلك مشركًا شركًا أكبر، نسأل الله السلامة من ذلك.

الناقض الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويسألهم الشّفاعة ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعا(٤).

إيضاح: من جعل بينه وبين الله وسائط، يتوكل عليهم ويدعوهم، ويسألهم فإنه يكفر إجماعا، فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي، أو جني أو روح أو غير ذلك تأثيرا في كشف كربة، أو قضاء حاجة أو رفع مرض أو دفع بلاء من دون الله سبحانه، فقد وقع في ضلال كبير وفي واد من الجهل خطير، فهو على شفا حفرة من السعير؛ لكونه قد أشرك بالله العظيم، وهكذا من ذكر أحداً من الصالحين والأولياء وغيرهم، على وجه طلب الإمداد منه، فقد أشركه مع الله؛ إذ لا قادر على الدّفع والنّفع غيره سبحانه وتعالى.

أما دعاء الحي الحاضر القادر، والاستعانة به فيما يقدر عليه، فهذا مما يجوز شرعا، ولا حرج في ذلك، وليس داخلا في أنواع الشرك بإجماع المسلمين؛

---

(٤) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (١/ ١٣١).

لقول الله عز وجل في قصة موسى: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص:١٥](٤٥) .

وقال رحمه الله لا يجوز التّعلق بالقبور، سواء أكانت قبور صالحين أو قبور أنبياء أو غيرهم، فالذي يتعلق بها، يطوف بها يرجو نفعها، أو يستغيث بأهلها، أو ينذر لهم، أو يتمسح بقبورهم، يرجو منهم النّفع، أو يستعين بهم أو يذبح لهم، أو يسجد لهم، كل هذا من الكفر بإجماع أهل السّنة والجماعة، وإجماع أهل العلم، وهذا شرك المشركين الأولين، فالله يقول جلّ وعلا: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[المؤمنون:١١٧] سماهم كفار، وقال جل وعلا: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[الجن:١٨]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾[فاطر:١٣-١٤] سمى دعاؤهم شركا، وقال النّبي ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(٤٦) فالذي يدعوهم قد عبدهم، فإذا قال: يا سيدي! انصرني أو اشف مريضي، أو اشفع لي، أو أنا في جوارك، أو أنا في حسبك، أنا متوكل عليك، أنا أرجوك، أنا أخافك، هذا شرك أكبر، مثل هذا ما يفعل إلا مع الله جلّ

---

(٤٥) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (٣/ ١٠١).

(٤٦) أخرجه أبو داود في كتاب سجود القرآن، باب: الدعاء رقم (١٤٧٩)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب: سورة البقرة رقم (٢٩٦٩).

وعلا، وفي مثل هذا ما يخاطب به إلا الله سبحانه، يا رب! انصرني، اشف مريضي، أنا أخافك يا ألله سبحانك؛ أمّا مع المخلوق، أو مع النجوم، أو مع الجن، أو مع الأصنام، فهذا الشرك الأكبر، كل هذا كفر أكبر، وهذا شرك المشركين، وهذا ما يفعله عباد الحسين، أو عباد الشيخ عبد القادر الجيلاني أو غيرهما، أو عباد العيدروس أو زينب أو غير ذلك، كل هذا كفر أكبر، فإذا دعا العيدروس، أو دعا الحسين، أو الحسن، أو استعان أو استغاث بعلي ﷺ، أو بالنّبي ﷺ، أو قال: يا رسول الله! انصرني، أو اشفع لي، أو اشف مريضي، أو ثبتني على الدّين، هذا كله كفر أكبر.

أما الشّفاعة: فتطلب من النبي ﷺ، يوم القيامة بعد البعث والنّشور، وفي حياته قبل الموت يقال: اشفع لي يا رسول الله، لا بأس، أما بعد الموت فلا يطلب منه الشفاعة ولا غيرها، لكن حين كان حياً يقول الصّحابي: يا رسول الله! اشفع لنا، استغث لنا، لا بأس لأنه قادر، ويوم القيامة كذلك بعدما يبعث الله الناس، وعند شدة الهول، يذهب الناس إلى آدم عليه السلام يقولون: اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من كرب الموقف، يقضي بيننا فيتعذر آدم عليه السلام ويحيلهم إلى نوح عليه السلام، ويتعذر نوح عليه السلام، ويحيلهم إلى إبراهيم عليه السلام، ويتعذر إبراهيم عليه السلام، ويحيلهم إلى موسى عليه السلام، فيتعذر موسى عليه السلام، ويحليهم إلى عيسى عليه السلام، فيتعذر عيسى عليه السلام، ويقول: اذهبوا إلى محمد ﷺ، عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال ﷺ: «فيأتوني -يأتيه الناس- فأقول: أنا لها أنا لها، ثم يذهب ﷺ فيسجد بين يدي الله تحت العرش،

ويحمد الله بمحامد يفتحها عليه، يثني عليه كثيراً حتى يقال له:« **يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ** »[٤٧] لا يشفع إلا بعد الإذن؛ لأن الله يقول: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥] فإذا أذن الله سبحانه له، شفع في النّاس أن يقضى بينهم، ويشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، ويشفع في أناس من العصاة دخلوا النّار أن يخرجوا منها شفاعات كثيرة لهﷺ.

وهكذا يشفع المؤمنون في العصاة، وتشفع الملائكة[٤٨] ويشفع الأفراط [٤٩] وهذا كله جاءت به النّصوص عن النّبي ﷺ [٥٠] .

الناقض الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر.

إيضاح: قال رحمه الله في نور على الدرب: دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على وجوب البراءة من المشركين، واعتقاد كفرهم، متى علم المؤمن ذلك، واتضح له كفرهم وضلالهم، كما قال الله عز وجل في كتابه العظيم: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى

---

[٤٧] أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: كلام الرّب عزّ وجل يوم القيامة رقم (٧٥١٠) ، ومسلم في كتاب الإيمان ،باب: أدنى أهل الجنة منزلة رقم (١٩٣) .

[٤٨] أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين رقم (٢/ ١٨٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[٤٩] أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: فضل من مات له ولد رقم (١٢٤٨) .

[٥٠] فتاوى نور على الدرب رقم (٥١٥) .

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨]
أي: لعلهم يرجعون إليها في تكفير المشركين والبراءة منهم، والإيمان بأن الله هو المعبود بالحق سبحانه وتعالى، وقال عز وجل: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾[الممتحنة:٤]
فهذا هو دين إبراهيم، وملة إبراهيم والأنبياء جميعاً، البراءة من عابد غير الله، واعتقاد كفرهم وضلالهم، حتى يؤمنوا بالله وحده سبحانه وتعالى.

فالواجب على المسلم أن يتبرأ من عابد غير الله، وأن يعتقد كفرهم وضلالهم، حتى يؤمنوا بالله وحده سبحانه وتعالى، كما حكى الله عن إبراهيم والأنبياء جميعاً، وهكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٥٦] والكفر بالطاغوت: معناه البراءة من عبادة غير الله واعتقاد بطلانها، وأن الواجب على كل مكلف أن يعبد الله وحده، وأن يؤمن به، ويعتقد أنه سبحانه هو المستحق للعبادة، وأن ما عبده الناس من دون الله، من أصنام أو أشجار أو أحجار أو أموات، أو جنّ أو ملائكة أو كواكب أو غير ذلك؛ أنه معبود بالباطل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾[الحج:٦٢]

فالمؤمن إذا علم أن فلاناً يعبد غير الله؛ وجب عليه البراءة منه، واعتقاد بطلان ما هو عليه، وتكفيره بذلك إذا كان ممّن بلغته الحجة، ممّن كان بين المسلمين، أو علم أنه بلغته الحجة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[الأنعام:١٩]،وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم:٥٢]، فالله سبحانه أوحى بالقرآن الكريم إلى نبيّه، وجعله بلاغاً للناس، فمن بلغه القرآن أو السنة، ولم يرجع عن كفره وضلاله؛ وجب اعتقاد بطلان ما هو عليه وكفره.

وفي هذا الحديث الصحيح، يقول رسول الله :« **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَهلِ النَّارِ** »(٥١) فبيّن صلى الله عليه وسلم، أنّه إذا بلغه ما بعث به النّبي صلى الله عليه وسلم، ثم مات ولم يؤمن بذلك؛ صار من أهل النار، يعني يكون كافراً من أهل النار؛ لكونه لم يستجب لما بلغه عن الله سبحانه وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو معنى قوله سبحانه: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩] وقوله سبحانه: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

(٥١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة رقم (١٥٢) .

وفي الصحيح عند مسلم، عن طارق بن أشيم رضي الله عنه، عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: « **مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ** »(٥٢) وفي لفظ آخر: «**مَنْ وَحَّدَ اللهَ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ مَالَهُ وَدَمَهُ** »(٥٣) فجعل تحريم الدم والمال مربوطاً بقوله: لا إله إلا الله، وبتوحيده الله، وكفره بالطاغوت، فلا يحرم ماله ودمه حتى يوحد الله، وحتى يكفر بالطاغوت، يعني: حتى يكفر بعبادة غير الله، ويتبرأ منها، ويعتقد بطلانها.

والطاغوت: هو كل ما عبد من دون الله وهو راض.

وهو معنى الآية الكريمة السابقة: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦] والذي يعلم الكافر وما هو عليه من الباطل، ثم لا يكفره، أو يشك في كفره؛ معناه: أنه مكذب لله ورسوله، غير مؤمن بما حكم الله عليه من الكفر، فاليهود و النصارى كفار بنص القرآن ونص السنة.

---

(٥٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ رقم (٢٣) .

(٥٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم (٨١١٦) الباب الثاني (٧ / ٣٧٢) .

فالواجب على المكلفين من المسلمين اعتقاد كفرهم وضلالهم، ومن لم يكفرهم، أو شك في كفرهم؛ يكون مثلهم؛ لأنه مكذب لله ورسوله، شاك بما أخبر الله به ورسوله.

وهكذا من شك في الآخرة، يعني: عنده شك: هل هناك بعث ونشور؟ هل يبعث الله الموتى؟ هل هناك جنة؟ هل هناك نار؟ ما عنده إيمان ويقين؛ هذا يكون كافراً، حتى يؤمن بالبعث والنشور، وبالجنة والنار، وأن الله أعد الجنة للمتقين المؤمنين، وأعدّ النار للكافرين، لا بد من الإيمان بهذا، بإجماع المسلمين.

وهكذا من شك في أن الله يستحق العبادة؛ يكون كافراً بالله عز وجل، فإن الله سبحانه يقول: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[الحج: ٦٢]، ويقول سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣] وطلب سبحانه أن يقول العبد ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥] وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[البينة:٥]، والآيات في هذا المجال كثيرة.

وهكذا من شك في الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال: لا أعلم أن محمدا رسول الله، أو ليس برسول الله، ما أدري، عندي شك؛ يكون حكمه حكم من أنكر رسالته، أو كذب به؛ يكون كافراً حتى يؤمن يقيناً أن محمداً رسول الله، وهكذا المرسلون الذين بينهم الله سبحانه: كنوح و هود و صالح و

موسى و عيسى و إبراهيم ونحوهم صلى الله عليهم وسلم، فمن شك في رسالتهم أو كذبهم؛ يكون كافرا نسأل الله العافية.

وهكذا من استهزأ بالدين، من سب الدين أو استهزأ بالدين؛ يكون كافراً، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[التوبة:٦٥-٦٦]، والذي يسب الدّين ويسب الرسول، مثل المستهزئ أو أقبح وأكفر.

أما من ترك الصلاة ولم يجحد وجوبها، فهذا فيه خلاف بين العلماء: منهم من يرى تكفيره، وهو الصواب لقول النبي صلى الله عليه وسلم:« **الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ** »[٥٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم: « **بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ** »[٥٥] ،وقال آخرون من أهل العلم: إنّه لا يكفر بذلك، إذا كان لا يجحد وجوبها، بل يكون عاصياً، ويكون كافراً كفراً دون كفر، وشركاً دون شرك، لكن لا يكون كافراً كفراً أكبر، هذا قاله جمع من أهل العلم، ومن شك في كفر هذا ما يكون كافرا؛ لأجل الخلاف الذي فيه، من شك في كفر تارك الصلاة ولم يجحد وجوبها؛ ما يكون كافراً؛ بل هذا محل اجتهاد بين أهل العلم، فَمَن

---

(٥٤) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء في ترك الصلاة رقم (٢٦٢١)، و ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء فيمن ترك الصلاة رقم (١٠٧٩) .

(٥٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة رقم (٨٢) .

عُرف بالأدلة الشرعية أنّه كافر، وجب عليه تكفيره، ومن شك في ذلك ولم تظهر له الأدلة، ورأى أنّه لا يكفر كفراً أكبر بل كفر أصغر؛ هذا معذور في اجتهاده، ولا يكون كافراً بذلك، أمّا من جحد وجوبها، وقال: الصلاة غير واجبة؛ فهذا كافر عند الجميع، ومن شك في كفره فهو كافر نعوذ بالله.

وهكذا من قال: إنّ الزكاة لا تجب وجحد وجوبها، أو جحد وجوب صيام رمضان ، أو قال: إن الحج مع الاستطاعة لا يجب، فهذا يكفر بذلك؛ لأنه مكذب لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام، ومكذب لإجماع المسلمين؛ فيكون كافرا، ومن شك في كفره فهو كافر، بعدما يبين له الدليل ويوضح له الأمر، يكون كافراً بذلك؛ لكونه كذب الله ورسوله، وكذب إجماع المسلمين.

وهذه أمور عظيمة يجب على طالب العلم التثبت فيها، وعدم العجلة فيها؛ حتى يكون على بيّنة وعلى بصيرة، وهكذا العامة: يجب عليهم أن يتثبتوا، وألّا يقدموا على شيء، حتى يسألوا أهل العلم وحتى يتبصروا؛ لأن هذه مسائل عظيمة، مسائل تكفير ليست مسائل خفيفة، بل مسائل عظيمة.
فالواجب على أهل العلم وعلى طلبة العلم، أن يوضحوها للناس بالأدلة الشرعية، والواجب على من أشكل عليه شيء أن لا يعجل، وأن ينظر في

الأدلة، وأن يسأل أهل العلم؛ حتى يكون على بصيرة وعلى بينة في ذلك، رزق الله الجميع التوفيق والهداية والعلم النافع والعمل الصالح[56] .

وقال رحمه الله في الجامع الكبير: من أحب الكفار واليهود والنصارى والمشركين، ولو كانوا في عهد وليسوا في حرب، من أحبهم لدينهم، والرضا بدينهم، والتعاون معهم على مصالح دينهم ونحو ذلك فهو مثلهم، أمّا إن أحب قوماً؛ لأنهم أعطوه حباً خاصاً؛ لأنهم أعطوه كذا أو لأن له فيهم قرابات فأحبهم لقرابتهم لا لدينهم، فهذه معصية، معصية كبيرة، وأما إذا أحبهم لدينهم ولأخلاقهم ولما هم عليه، ويفضلهم على المسلمين ويرى أنهم على هدى وعلى خير، فهذا والعياذ بالله ردة ظاهرة، وكفر ظاهر نسأل الله العافية؛ لأن الموالاة قسمان:

الأول: موالاة معناها المحبة والنصرة والتأييد لهم على المسلمين، والرضا بدينهم وأخلاقهم فهذا كفر أكبر.

والثاني: إذا كان لقرابة أو لكونها زوجته من أهل الكتاب، أو لكونه قريباً له يحبه ويدعو له بالهداية ونحو ذلك، ولكن لا يحب دينه، ولا يرضى بدينه، ولا يواليه على دينه، فهذه محبة ناقصة، محبة خاصة من أجل قرابة أو صلة أخرى، فهذه محبة تنقص دينه وتضعف دينه، ويجب عليه بغضه في الله،

---

(٥٦) فتاوى نور على الدرب رقم (٦٠٩) .

ومعاداته في الله؛ لكن لا تكون ردة كبرى، بل هي دون ذلك نسأل الله السلامة. (٥٧)

وقال رحمه الله وهو يرد على بعض الكُتّاب: أما قول الكاتب وإننا نحترم جميع الأديان السماوية فهذا حق ولكن ينبغي أن يعلم القارئ أن الأديان السماوية٥٨

قد دخلها من التحريف والتغيير ما لا يحصيه إلا الله سبحانه، ما عدا دين الإسلام، الذي بعث الله به نبيه، وخليله وخيرته من خلقة، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبدالله ﷺ، فقد حماه الله وحفظه من التغيير والتبديل، وذلك بحفظه لكتابه العزيز، وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، حيث قال الله عز و جل ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر الآية ٩]فقد حفظ الله الدين وصانه من مكائد الأعداء، بجهابذة نقاد أمناء، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وكذب المفترين، وتأويل الجاهلين، فلا يقدم أحد على تغيير أو تبديل، إلا فضحه الله وأبطل كيده، أما الأديان الأخرى فلم يضمن حفظها سبحانه؛ بل استحفظ عليها بعض عباده فلم يستطيعوا حفظها، فدخلها من التغيير والتحريف ما الله به عليم؛ كما قال عز و جل: ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار

(٥٧)أسئلة الجامع الكبير المجموعة الأولى (٤٧).

٥٨) مجموع الفتاوى (ج٢ ص ١٨٦،١٨٥،١٨٤،١٨٤،١٨٣).

بها استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ [المائدة ٤٤] وقال عز وجل ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾[المائدة٤١]وقال عز و جل: ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾[البقرة ٧٩] وقال تعالى: ﴿ وإنَّ منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ [آل عمران ٧٨﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة؛ أما ما كان من فقرات وموضوعات الأديان السماوية السابقة سليمة من التغيير والتبديل، فقد نسخه الله ببعثة رسول الله ﷺ وإنزاله القرآن الكريم، فإن الله سبحانه أرسل رسوله محمدا ﷺ إلى الناس كافة، ونسخ بشريعته سائر الشرائع، وجعل كتابه الكريم مهيمنا على سائر الكتب السماوية، فالواجب على جميع أهل الأرض من الجن والإنس، سواء كانوا من اليهود أو النصارى، أو غيرهم من سائر أجناس بني آدم، ومن سائر أجناس الجن، أن يدخلوا في دين الله، الذي بعث به خاتم الرسل إلى الناس عامة، وأن يلتزموا به، ويستقيموا عليه؛ لأنه هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع

الحساب فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ [آل عمران ١٩،٢٠]وقال عز و جل: ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بن أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾[البقرة ١٣٦،١٣٧]وقال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[آل العمران] قال تعالى في سورة المائدة بعدما ذكر التوراة والإنجيل: يخاطب نبيه محمدا ﷺ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ [آل عمران] ففي هذه الآيات الكريمات الدلالة الظاهرة، والبرهان القاطع على وجوب الحكم بين اليهود والنصارى وسائر الناس بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ، وعلى أنه لا إسلام لأحد ولا هداية إلا باتباع ما جاء به، وأن ما

يخالف ذلك فهو في حكم الجاهلية، وأنه لا حكم أحسن من حكم الله، وقال تعالى في سورة الأعراف ﴿ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾[الأعرف١٥٦،١٥٧] ففي هاتين الآيتين الكريمتين الدليل القاطع، والحجة الدامغة، على عموم بعثة النبي ﷺ لليهود والنصارى، وأنه بُعث بالتخفيف عنهم، وأنه لا يحصل الفلاح لكل من كان في زمانه من الأمم، وهكذا ما بعد ذلك إلى قيام الساعة، إلا بالإيمان به ونصره وتعزيزه، واتباع النور الذي أنزل معه، ثم قال سبحانه بعد ذلك تأكيد للمقام، وبيانا لعموم الرسالة: ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾[الأعراف١٥٨] ومن هذه الآية وما قبلها من الآيات، يتضح لكل عاقل أن الهداية والنجاة والسعادة، إنما تحصل لمن آمن بمحمد ﷺ، واتبع ما جاء به من الهدى، ومن حاد عن ذلك فهو في شقاق وضلال، وبعد عن الهدى؛ بل هو الكافر حقا وله النار يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار

موعده ﴾[هود ١٧]وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾[سبأ٢٨] وقال تعالى: ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ [الفرقان ١] وفي الصحيحين عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ{ أعطيت خمسا لم يعطهم أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة}([٥٩]) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار}([٦٠]) والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وأرجو أن يكون فيما ذكرناه دلالة، ومقنع للقارئ على وجوب معاداة الكفرة من اليهود وغيرهم، وبغضهم في الله، وتحريم مودتهم، واتخاذهم أولياء، وعلى نسخ جميع الشرائع السماوية؛ ما عدا شريعة الإسلام، التي بعث الله بها خاتم النبيين، وسيد المرسلين وإمام المتقين، نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، وعلى سائر النبيين والمرسلين، وجعلنا من اتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، إنه على كل شيء قدير، وليس معنى نسخ الشرائع السابقة، أنها لا تحترم، أو أنه يجوز التنقص منها، ليس هذا المعنى هو المراد؛ وإنما المراد رفع ما قد يتوهمه بعض الناس،

---

[٥٩]) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم (٥٢١) والبخاري رقم (٣٣٥).

[٦٠]) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم (١٥٣).

أنه يسوغ اتباع شيء منها، أو أن من انتسب إليها من اليهود أو غيرهم، يكون على هدى؛ بل هي شرائع منسوخة، لا يجوز اتباع شيء منها لو علمت على التحقيق، وسلمت من التغيير والتبديل، فكيف وقد جهل الكثير منها، لما أدخل فيها من تحريف أعداء الله، الذين يكتمون الحق وهم يعلمون، ويكذبون على الله وعلى دينه، ما تقتضيه أهواؤهم، ويكتبون الكتب من عندهم وبأيديهم، ويقولون إنها من عند الله؛ وبذلك يعلم كل من له أدنى علم وبصيرة، أن الواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس، أن يدخلوا في دين الله الذي هو الإسلام، وأن يلتزموه، وأنه لا يسوغ لأحد الخروج عن ذلك، لا إلى يهودية ولا إلى نصرانية ولا إلى غيرها؛ بل المفروض على جميع المكلفين، من حين بعث الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ، وإلى قيام الساعة هو الدخول في الإسلام، والتمسك به، ومن اعتقد أنه يسوغ له الخروج عن شريعة محمد ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى كليم الرحمن ؑ، فهو كافر بإجماع أهل العلم، فيستتاب وتبين له الأدلة، فإن تاب وإلا قتل، عملا بما تقدم من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الدالة على عموم رسالة محمد ﷺ إلى جميع الثقلين؛ والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل، ونسأله عز و جل أن يثبتنا على دينه، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعا، وأن يمن على عباده بالدخول في دينه، والكفر بما خالفه، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى سائر النبيين والمرسلين، وسائر الصالحين، والحمد لله رب العالمين، والحمد لله الذي ارتضى لأمة محمد ﷺ دين الإسلام، وجعل شريعة محمد ﷺ

خاتمة الشرائع وأكملها، وأرسل بها أفضل خلقه محمدا ﷺ.

الحكم في إقامة معابد في ديار المسلمين.

وقال الشيخ رحمه الله: اطلعت على ما جاء عن وصف أحد علماء المسلمين عن قيام معبد غريب للسيخ في بلد عربي، وأن قيام هذا المعبد يشكل خطرا كبيرا على المسلمين، وينبغي إزالته، وقال: إن الديانات المسموح بها في هذا البلد، هي التي لها كتاب سماوي فقط، أما ما عدا ذلك فهي معتقدات كافرة، ينبغي إزالة معابدها ومنعها من ممارسة طقوسها؛ حتى لا تؤثر على المسلمين في هذه الأرض.([٦١])" انتهى كلامه.

ومن يقرأ كلام هذا العالم يدرك منه أمرين:

الأمر الأول: أن اليهودية والنصرانية مسموح بهما في هذا البلد العربي، سواء الانتماء إلى اليهودية والنصرانية أو إقامة معابد لهما، أو مزاولة كافة طقوسهما، ومعنى ذلك أن التبشير النصراني علني ومسموح به رسميا هناك، وهذا أمر خطير.

والأمر الثاني: وهو أخطر من الأول؛ أن فيه الحكم ضمنا من واقع كلام هذا المتحدث، بأن الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية ليست كافرة، وبالتالي فإنه إذا كان الأمر كذلك، يجوز الدخول فيهما والانتماء إليهما،

---

[٦١]) نشر في جريدة اليوم العدد ٤٠٨٠ وتاريخ ١٢/ ٨/ ١٤٠٤ هـ الصفحة الأخيرة تحت عنوان قيام معبد غريب للسيخ في الإمارات نقلا عن وكالة أنباء الخليج؛ وقد جاء في ذلك الخبر ما يلي: قيام معبد غريب للسيخ في دبي، وأن قيام هذا المعبد يشكل خطرا كبيرا على المسلمين، وينبغي إزالته، وقال: إن الديانات المسموح بها في هذا البلد، هي التي لها كتاب سماوي فقط، أما ما عدا ذلك فهي معتقدات كافرة، ينبغي إزالة معابدها ومنعها من ممارسة طقوسها؛ حتى لا تؤثر على المسلمين في هذه الأرض. انتهى كلامه.

والدعوة إليهما والتبشير بهما، ولن أتعرض لمعبد السيخ هذا؛ لأن الخبر جاء فيه بأن مدير أوقاف تلك البلد قال: أن البلدية سوف تزيل هذا المعبد، فجزاه الله خيرا؛ لأن وجود هذا المعبد يتضمن الدعوة إلى عبادة الأوثان، التي يجب إنكارها.

أما كلام هذا العالم فإنه معلوم ما فيه من بطلان وغلط، فإن الدين الإسلامي، هو الدين الصحيح المطلوب من أهل الأرض، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران الآية ٨٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران الآية ١٩، ٢٠] هذا وقد وصف الله سبحانه وتعالى اليهود والنصارى بالكفر؛ لما قالوا عن الله سبحانه، ولما حرفوا وغيروا في كتبهم، وتجاوزهم الحد في القول والعمل، تبعا لما تصف ألسنتهم، وتستهوي نفوسهم، - قاتلهم الله - أنى يؤفكون. قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة الآية ١٧].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة الآية ٧٢،٧٣،٧٤] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة الآية ٣٠،٣١].

والآيات الكريمات في هذا المعنى كثيرة ، مما يعلم منه بأن الديانة اليهودية والديانة النصرانية قد نسختا بشريعة محمد ﷺ، وأن ما فيهما من حق أثبته الإسلام ، وما فيهما من باطل هو مما حرفه القوم، وبدلوه حسب أهوائهم؛ ليشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون؛ فدين الإسلام هو الدين الصحيح المطلوب من أهل الأرض، وهو الدين الذي بشر به جميع الأنبياء.

روى النسائي أن النبي ﷺ {رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة فقال: أمتهوكون يا ابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى عليه السلام حيا واتبعتموه وتركتموني ضللتم} (٦٢)

---

٦٢) مسند أحمد بن حنبل (٣/ ٣٨٧)،سنن الدارمي المقدمة (٤٣٥) النسائي رقم (٢/ ٢٨٠).

وفي رواية: {لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي، فقال عمر ﷺ رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺنبيا}.

وكما أن عيسى عليه السلام جاء مجددا لديانة موسى عليه السلام، وليحل لهم بعض ما حرم عليهم([٦٣])، كما في قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران٥٠،٥١].

فإنه عليه السلامكذلك سينزل في آخر الزمان ليجدد رسالة محمد ﷺ، قال النووي في شرحه: قوله ﷺ: يضع الجزية : أي لا يقبل إلا الإسلام أو السيف([٦٤]).

وعندما يرى هذه الآية أهل الأرض، فعند ذلك يرجع لدين الإسلام من هدى الله قلبه، ويدخل فيه من أنار الله بصيرته من اليهود والنصارى؛ فيؤمن بعيسى بعدما ظهرت أمامه الآيات الساطعات، التي تتجلى فيها أنوار الحق الواضحة والإيمان بعيسى عليه السلام في ذلك الوقت تصديق برسالة محمد ﷺ وبالدين الذي جاء به من عند ربه وهو الإسلام؛ حيث ينكشف

---

[٦٣]) أتى عيسى عليه السلام مصدقا ا لديانة موسى عليه السلام، ومجددا ومعدلا فيها بإذن الله تعالى، كما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ بينما يأتي في آخر الزمان كما جاء في الحديث مجددا لرسالة رسول الله محمد ﷺ: قال: الشيخ رحمه الله فإنه عليه السلامكذلك سينزل في آخر الزمان ليجدد رسالة محمد ﷺ.

[٦٤]) البخاري البيوع (٢١٠٩)،صحيح مسلم الإيمان (١٥٥)،سنن الترمذي الفتن (٢٢٣٣)،سنن أبو داود الملاحم (٤٣٢٤)،سنن ابن ماجه الفتن (٤٠٧٨)،مسند أحمد بن حنبل (٢/٥٣٨). { يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم، وقال ابن أبي ذئب: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم} رواه مسلم (١٥٥).

الكذب ويظهر الزيف، الذي أدخله الأحبار والرهبان على الديانة النصرانية واليهودية، ليضلوا الناس، ويلبسوا عليهم دينهم. قال الله تعالى في قصة عيسى عليه السلام مع أهل الكتاب، الذين قالوا بأنهم قتلوه، موضحا كذبهم، وأن منهم من سوف يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته ؛ لأن الموت حق على جميع البشر في هذه الحياة الدنيا(٦٥) : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء ١٥٨] وهذا الموقف الذي أبانه القرآن الكريم جاء بعد أن وصفهم بالكفر في آية قبلها، وهي قوله تعالى :﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء ١٥٦، ١٥٧].

وفي عهد رسول الله ﷺ، وبعد أن وضحت شريعة الإسلام لأهل الأرض، دخل من أنار الله بصيرته من اليهود والنصارى في الإسلام، بعدما عرف الحق، وتبرأ من الاعتقادات التي تناقض شرع الله الذي شرع لعباده، وهي الوحدانية لله جل وعلا، وعدم الإشراك معه في العبادة والاعتقاد.

ودين الإسلام هو: الدين الذي ارتضاه الله لأنبيائه منذ الأزل، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران الآية ١٩] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

---

٦٥) (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله الجزء (٢/ ٢٨١)

وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة١٣٠،١٣١،١٣٢](٦٦) ودين الإسلام هو الطريق المستقيم الموصل إلى الله؛ كما ورد في تفسير سورة الفاتحة، فإن العبد يدعو ربه بأن يهديه إلى الصراط المستقيم، وأن يبعده عن طريق المغضوب عليهم، وهم اليهود الذين عصوا الله عن علم ومعرفة، وطريق الضالين، وهم النصارى الذين يعبدون الله على جهل وضلال.

ومما ذكرناه يتضح أن الطريق إلى الله واحد وهو دين الإسلام، وهو الذي بعث الله به نبيه محمدا ﷺ، كما بعث به جميع الرسل؛ وأن جميع ما خالفه من يهودية أو نصرانية، أو مجوسية أو وثنية أو غير ذلك، من نحل الكفر كله باطل، وليس طريقا إلى الله ولا يوصل إلى جنته وإنما يوصل إلى غضبه وعذابه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران٨٥] وقال النبي ﷺ: {لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار} (٦٧). والله المسؤول أن يمنحنا وجميع المسلمين الفقه في الدين والثبات عليه، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، وأن يهدينا جميعا الصراط المستقيم، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين، إنه ولي ذلك

---

[٦٦]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله (ج ٢/ ٢٨٢).

[٦٧]) رواه مسلم في صحيحه (١٥٣) وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٠).

والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.[٦٨]

الناقض الرابع: من اعتقد أن هدي غير النّبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر؛ كمن يطالب بتحكيم المبادئ الاشتراكية والشيوعية.

إيضاح: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد: فقد ورد إلي سؤال عن الحكم في الذين يطالبون بتحكيم المبادئ الاشتراكية والشيوعية، ويحاربون حكم الإسلام؟ وما حكم الذين يساعدونهم في هذا المطلب، ويذمون من يطالب بحكم الإسلام، ويلمزونهم ويفترون عليهم؟ وهل يجوز اتخاذ هؤلاء أئمة وخطباء في مساجد المسلمين؟

الجواب: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، لا ريب أن الواجب على أئمة المسلمين وقادتهم، أن يحكموا الشريعة الإسلامية في جميع شؤونهم، وأن يحاربوا ما خالفها، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء الإسلام، ليس فيه نزاع بحمد الله، والأدلة عليه من الكتاب والسنة كثيرة معلومة عند أهل العلم، منها قوله سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء ٦٥]وقوله عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي

---

[٦٨]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله (ج ٢/ ٢٨٣).

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء ٥٩] وقوله سبحانه ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِّ﴾ [الشورى ١٠] وقوله سبحانه: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهَّ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة٥٠][69]

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة٤٤] ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُّ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة٤٥] ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة ٤٧]والآيات في هذا المعنى كثيرة؛ وقد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله، أو أن هدي غير رسول الله ﷺ أحسن من هدي الرسولﷺ فهو كافر، كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج عن شريعة محمد ﷺ، أو تحكيم غيرها، فهو كافر ضال، وبما ذكرناه من الأدلة القرآنية، وإجماع أهل العلم يعلم السائل وغيره، أن الذين يدعون إلى الاشتراكية أو الشيوعية، أو غيرها من المذاهب الهدامة، المناقضة لحكم الإسلام، كفار ضلال، أكفر من اليهود والنصارى؛ لأنهم ملاحدة لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يجوز أن يُجْعَلَ أحد منهم خطيبا وإماما في مسجد من مساجد المسلمين، ولا تصح الصلاة خلفهم، وكل من ساعدهم على ضلالهم، وحسن ما يدعون إليه؛ وكل من ذم دعاة الإسلام ولمزهم، فهو كافر ضال، حكمه حكم الطائفة الملحدة، التي سار في ركابها

---

[69]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله (ج ١/٢٦٨، ٢٦٩).

وأيدها في طلبها، وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين، وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة، فهو كافر مثلهم، كما قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة٥١] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة ٢٣]، وأرجو أن يكون فيما ذكرناه كفاية ومقنع لطالب الحق، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ونسأله سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين، ويجمع كلمتهم على الحق، وأن يكبت أعداء الإسلام، ويفرق جمعهم، ويشتت شملهم، ويكفي المسلمين شرهم، إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.[٧٠]

الاحتكام إلى القوانين الوضعية مع وجود القرآن الكريم، والسنة.

سؤال: ما رأيكم في المسلمين الذين يحتكمون إلى القوانين الوضعية مع وجود القرآن الكريم والسنة المطهرة بين أظهرهم؟

جواب: رأيي في هذا الصنف من الناس الذين يسمون أنفسهم بالمسلمين، في الوقت الذي يتحاكمون فيه إلى غير ما أنزل الله، ويرون شريعة الله غير كافية، ولا صالحة للحكم في هذا العصر، هو ما قال الله سبحانه وتعالى في

[٧٠]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله (ج ١/ ٢٧١،٢٧٢).

شأنهم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء ٦٥] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة ٤٤،٤٧،٤٥].

إذا فالذين يتحاكمون إلى شريعة غير شريعة الله، ويرون أن ذلك جائز لهم، أو أن ذلك أولى من التحاكم إلى شريعة الله، لا شك أنهم يخرجون بذلك عن دائرة الإسلام، ويكونون بذلك كفارا ظالمين فاسقين، كما جاء في الآيات السابقة وغيرها، وقوله عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة٥٠]والله الموفق.

أحوال الحكم بغير ما أنزل الله:

أما ما يتعلق بحكم الشريعة من جهة حكم من تركها، فقد سمعتم في كلام المشايخ، وأن من حكم القوانين وآراء الرجال وترك حكم الله، فله أربع حالات لا يخرج عنها: في ثلاث حالات يكفر، وفي الحالة الرابعة يكون صاحب جريمة، وكبيرة عظيمة يستحق عليها العقاب الشديد، ولكنه لا يكفر.

فالأحوال الثلاثة التي يكفر فيها:

إحداها: إذا حكم بغير شريعة الله، وهو يرى أن القوانين أفضل من شريعة الله، هذا كافر كفر أكبر نعوذ بالله، يقتل كافراً؛ ويجب على ولاة الأمور أن يجاهدوه وأن يقتل كافراً، نسأل الله العافية.

الحالة الثانية: أن يقول القوانين هي الأفضل لكنها مثل الشريعة، إن أقيمت الحدود، ونفذت الشريعة فلا بأس، وإن نفذت القوانين فلا بأس كله جائز، هذا وهذا كله سواء، فهذا كافر أيضاً نعوذ بالله، مرتد عن الإسلام، نسأل الله العافية؛ لأنه استحل ما حرمه الله وكذب شرع الله.

الحالة الثالثة: أن يقول الشريعة أفضل، ولكن يجوز الحكم بغير ما أنزل الله، ولكن شرع الله أفضل وأولى، ولكن لا مانع من تحكيم القوانين، ولا بأس أن يحكم القاضي بغير الشريعة، بهواه ورأيه الذي يخالف الشرع المطهر ويستحل ذلك، فهذا أيضاً كفر أكبر، وردة عن الإسلام نعوذ بالله، ولو قال: إن الشريعة أفضل، ولو قال: إنها مقدمة، مادام يرى أنه يجوز الحكم بغير ما أنزل الله، وأنه لا حرج في ذلك، فهذا كافر نعوذ بالله؛ لأن الله أوجب علينا حكم الشريعة، فمن قال: يجوز خلاف حكم الله، فقد كذب الله، واستحل ما حرمه الله، فيكون كافراً.

ا لحالة الرابعة: هي التي لا يكفر فيها، كما قال ابن عباس وغيره من الأئمة، وهي التي يقول فيها: إن الحكم بغير ما أنزل الله أمر منكر، وأنه جريمة، ومع ذلك يقع في الحكم بغير ما أنزل الله إما لهوى، وإما لرشوة؛ وإما لكونه حكم على عدوٍ له أو ما أشبه ذلك، هو يعلم أنه مخطي، هو يعلم أنه عاصي، وأن القوانين باطلة، وأن الحكم بالهوى أو بالرشوة باطل، ولكنه يحمله الهوى، ويحمله مقاصد وأغراض خبيثة، على أن يستحل خلاف الشريعة، ويحكم بخلاف الشريعة، ويلغي الحكم الشرعي لهوىً في نفسه، أو لرشوة أعطيها أو لأشياء أخرى، من الأغراض التي يستحل بها الحكم بالباطل،

هو يعلم أن حكمه هذا باطل، وأنه عاصي وأن الواجب تحكيم الشريعة، فهذا هو الذي قال أهل العلم عنه، أنه أتى جريمة وأنه عاص لله، وقد أتى منكراً عظيماً، وأنه أتى كفراً دون كفر، وظلماً دون ظلم، وفسقاً دون فسق.

وبهذا تعلم أن الحكم بغير الشريعة منكر مطلقاً، وظلم مطلقاً، وكفر مطلقاً، وفسق مطلقاً، لكنها في حال الأقسام الثلاثة كفر أكبر، وظلم أكبر، وفسق أكبر، وردة عن الإسلام نعوذ بالله.

وفي حال القسم الرابع: كبيرة من كبائر الذنوب، وظلم أصغر وكفر أصغر وفسق أصغر، لا يرتقي إلى الردة عن الإسلام نعوذ بالله؛ لأنه لم يستحل ذلك ولم يرض بذلك، هو يعلم أنه عاصي وأنه مخطي، وأن حكم الله هو الواجب الاتباع والواجب التنفيذ.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية، ونسأله سبحانه أن يمنحنا وإياكم الفقه في الدين والثبات عليه، ونسأل الله أن يوفق ولاة أمور المسلمين، نسأل الله أن يوفقهم للحكم بالشريعة والتحاكم إليها، وأن يهديهم صراطه المستقيم، وأن يهدي شعوبهم حتى تطالبهم بهذا الأمر، وحتى تجتهد في طلب الحق، وحتى تنفذ الحق في أنفسها، نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يوفق ولاة أمرنا في كل مكان، لما فيه صلاح العباد والبلاد، وأن يعيذنا والمسلمين جميعاً من شرور النفس، ومن سيئات الأعمال، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.[٧١]

---

[٧١]) أسئلة الجامع الكبير المجموعة الأولى (٥٧).

الناقض الخامس: من أبغض شيئا مما جاء به الرّسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[محمد: ٩] .

وقال تعالى في كتابه الكريم: في سورة آل عمران : ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾﴿وَأَطِيعُوا اللهَّ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران ١٣١،١٣٢] فقرن الله سبحانه طاعة الرسول بطاعته، ثم علق الرحمة بطاعة الله ورسوله، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِّ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهَِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء ٥٩] فأمر سبحانه بطاعة الله وطاعة رسوله، وكرر الفعل في ذلك، وأمر بطاعة أولي الأمر إذا كان ما أمروا به لا يخالف أمر الله ورسوله، ثم نبه أن العمدة في ذلك على طاعة الله ورسوله، فقال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِّ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء٥٩] ولم يقل: إلى أولي الأمر منكم، فدل ذلك: على أن الرد في مسائل النزاع والخلاف إنما يكون لله سبحانه وتعالى ولرسوله ﷺ.

قال العلماء: في معنى إلى الله: أي إلى كتاب الله، وفي معنى الرد إلى الرسول، أي إلى الرسول في حياته، ولسنته بعد وفاته ﷺ، فعلم بذلك: أن سنته مستقلة، وأنها أصل مستقل من أصول الإسلام، وقال جل وعلا: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ﴾ [النساء٨٠] وقال سبحانه : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ إلى أن قال: سبحانه ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف

١٥٧] فجعل الله سبحانه الفلاح لمن اتبعه عليه الصلاة والسلام دون غيره، فدل ذلك على أن من أنكر سنته، ولم يتبعه فإنه ليس بمفلح، وليس من المفلحين ، ثم قال بعدها : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف١٥٨] فجعل الله سبحانه الهداية باتباعهﷺ وقال عز وجل في آية أخرى من سورة النور: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور٥٤] وقال في سورة النور أيضا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور٥٦] وقال في آخر سورة النور: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور ٦٣] وقال جل وعلا في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران ٣١] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وبذلك يعلم أن المخالف لأمر النبي ﷺ على خطر عظيم، من أن تصيبه فتنة بالزيغ والشرك والضلال أو عذاب أليم ، وقال عز وجل في سورة الحشر: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر ٧]، وهذه الآيات وما جاء في معناها كلها دالة على وجوب اتباعه وطاعته ﷺ، وأن الهداية والرحمة والسعادة، والعاقبة الحميدة كلها باتباعه وطاعته، ﷺ فمن أنكر السنة فقد أنكر كتاب الله، ومن قال: إنه

اتبع كتاب الله من دون السنة، فقد كذب وغلط وكفر؛ لأن القرآن أمر باتباع النبي ﷺ، فمن لم يتبعها فإنه لم يعمل بكتاب الله، ولم يؤمن بكتاب الله؛ حيث أن كتاب الله أمر بطاعة الرسول ﷺ، وأمر باتباعه وحذر من مخالفته، فمن زعم أنه يأخذ بالقرآن، ويتبع القرآن دون السنة فقد كذب؛ لأن السنة جزء من القرآن، فطاعة الرسول ﷺ جزء من طاعة القرآن، ودل القرآن على وجوب الأخذ بها، وأمر القرآن الأخذ بها؛ فلا يمكن أن ينفك هذا عن هذا، ولا يمكن أن يكون الإنسان متبعا للقرآن، بدون اتباع السنة، ولا يكون متبعا للسنة دون اتباع القرآن، فهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر.[٧٢]

ومما جاء في السنة عن رسول الله ﷺ ما من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ، ومن عصى الأمير فقد عصاني.[٧٣] وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى.[٧٤] وهذا واضح في أن من عصى الرسول ﷺ فقد عصى الله سبحانه، ومن عصى الله فقد أبى دخول الجنة.

وفي سنن بإسناد جيد، عن المقدام بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ

---

[٧٢]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله (ج ٨ / ١٣٦،١٣٥،١٣٤).

[٧٣]) رواه الشيخان في الصحيحين وفي سنن النسائي في البيعة (٤١٩٣)،مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٣٨٧).

[٧٤]) صحيح البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٥١) صحيح مسلم الإمارة (١٨٣٥) مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٣٦١).

قال: { ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه} ([75]) والمراد بالكتاب: هو القرآن، والمراد بمثله معه: أي السنة، الوحي الثاني، وقال ﷺ: { ألا يوشك رجل شبعان متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، ما وجدنا فيه من حلال حللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه} .([76]) وفي لفظ : سنن الترمذي قال ﷺ: { يوشك رجل شبعان على أريكته يحدث بالأمر من أمري مما أمرت به ونهيت عنه، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، ما وجدنا فيه اتبعناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله} .([77]) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على جميع الأمة أن تعظم سنة رسول الله ﷺ، وأن تعرف قدرها، وأن تأخذ بها، وتسير عليها، فهي الشارحة والمفسرة لكتاب الله عز وجل، والدالة على ما قد يخفى من كتاب الله، والمقيدة لما قد يطلق من كتاب الله، والمخصصة لما قد يعم من كتاب الله، ومن تدبر كتاب الله، وتدبر السنة عرف ذلك؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل٤٤] فهو ﷺ المبين للناس ما نزل عليهم، فإذا كانت سنته غير معتبرة ولا يحتج بها، فكيف يبين للناس دينهم، وكتاب ربهم؟! هذا من أبطل الباطل؛ فعلم بذلك أنه ﷺ هو المبين لكتاب

---

[75]) سنن أبو داود السنة (٤٦٠٤).

[76]) سنن الترمذي العلم (٢٦٦٤)،سنن أبو داود السنة (٤٦٠٤)،سنن ابن ماجه المقدمة (١٢)،سنن الدارمي المقدمة (٥٨٦).

[77]) الترمذي باب العلم (٢٦٦٤)،سنن أبو داود السنة (٤٦٠٤)،سنن ابن ماجه المقدمة (١٢)،سنن الدارمي المقدمة (٥٨٦).

الله كما قال سبحانه، وأنه المفسر لما قد يخفى منه، وقال سبحانه في سورة النحل: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل٦٤] فبين جل وعلا أنه أنزل الكتاب عليه ليبين للناس ما اختلفوا فيه، فإذا كانت سنته لا تبين للناس، ولا يحتج بها، بطل هذا المعنى، فهو سبحانه وتعالى يبين أن نبيه ﷺ، هو الذي يبين للناس ما نزل إليهم، وهو الذي يفصل بالنزاع بين الناس فيما اختلفوا فيه، فدل ذلك على أن سنته ﷺ، لازمة الاتباع وواجبة الاتباع، وليس هذا خاصا بأهل زمانه وصحابته ﵃؛ بل هو لهم ولمن يجيء بعدهم إلى يوم القيامة؛ فإن الشريعة لزمانه ولمن بعد زمانه إلى يوم القيامة، فهو رسول الله ﷺ إلى الناس عامة(٧٨) كما قال تعالى : في سورة الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الآية ١٠٧] وقال سبحانه في سورة سبأ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ ٢٨] وقال عز وجل في سورة الأعراف ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف ١٥٨]؛ فهو ﷺ رسول الله إلى جميع العالم من الجن والإنس، والعرب والعجم، والأسود والأبيض، والغني والفقير، والحكام والمحكومين إلى يوم القيامة، وليس بعده نبي، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم ﷺ؛ فوجب أن تكون سنته موضحة لكتاب الله، وشارحة لكتابه، ودالة على ما قد يخفى من الكتاب.

[٧٨]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز ابن باز ﵀ (ج ٨ / ١٣٩،١٣٨،١٣٧).

وكذلك سنته جاءت بأحكام لم يأت بها كتاب الله، جاءت بأحكام مستقلة، شرعها الله عز وجل، لم تذكر في كتاب الله عز وجل، ومن ذلك تفصيل

الصلوات والزكوات، وتفصيل أحكام الزكاة، وتفصيل أحكام الرضاع، فليس في كتاب الله إلا عن الأمهات، والأخوات من الرضاع، وجاءت السنة ببقية المحرمات بالرضاع(٧٩)، فقال رسول الله ﷺ: { يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب} (٨٠)، وجاءت السنة بأحكام مستقلة، مثل تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، وجاءت بأحكام أخرى مستقلة، لم تذكر في كتاب الله في أشياء كثيرة: في الجنايات، والديات، والنفقات، وأحكام الزكاة، والحج ... إلى غير ذلك.

ولما قال بعض الناس في مجلس عمران بن حصين رضي الله عنه: دعنا من الحديث، وحدثنا عن كتاب الله، غضب عمران رضي الله عنه وقال: لولا السنة كيف نعرف أن الظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع، والفجر ركعتان؟! فالسنة بينت تفاصيل الصلاة، وتفاصيل الأحكام، ولم يزل الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى السنة ويتحاكمون إليها، ويحتجون بها، ولما ارتد من ارتد من العرب قام الصديق رضي الله عنه فدعا إلى جهادهم، وتوقف عمر في ذلك وقال: كيف نقاتلهم وقد قال النبي ﷺ: {أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا

---

٧٩) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله (ج ٨ / ١٣٩).

٨٠) صحيح البخاري الشهادات (٢٥٠٢)،صحيح مسلم الرضاع (١٤٤٧)،سنن النسائي النكاح (٣٣٠٦)،سنن ابن ماجه النكاح (١٩٣٨)،مسند أحمد بن حنبل (١/ ٣٣٩).

بحقها}([81]) فقال الصديق ﷺ: {أليست الزكاة من حقها من حق لا إله إلا الله؟ والله لو منعوني عناقا أو قال: عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر: فما هو إلا أن عرفت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق} ثم وافق المسلمون ووافق الصحابة كلهم، واجتمع رأيهم على قتال المرتدين بأمر الله ورسوله.

ولما جاءت الجدة إلى الصديق ﷺ تسأل، قال: {ما أعلم لك شيئا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولكن سوف أسأل الناس، فسأل الناس، فاجتمع رأيهم، أن رسول الله ﷺ {قضى لها بالسدس عند عدم الأم، فقضى لها بالسدس رضي الله عنه وأرضاه.

وهكذا عثمان ﷺ أيضا، لما أشكل عليه حكم المعتدة من الوفاة، هل تكون في بيت زوجها أو تنتقل إلى أهلها؟ {فشهدت عنده فريعة بنت مالك أخت أبي سعيدﷺ، أن رسول الله ﷺ أمرها أن تعتد في بيتها، فقضى بذلك عثمان.

ولما سمع ابن عباسﷺ بعض الناس ينكر عليه الفتوى بالمتعة، أي متعة الحج، ويحتج عليه بقول أبي بكر وعمرﷺ، وأنهما يريان إفراد الحج، قال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء؛ أقول: قال رسول اللهﷺ : وتقولون قال: أبو بكر وعمر.

ولما ذكر للإمام أحمد بن حنبل ﷺأن جماعة يتركون الحديث، ويذهبون إلى

---

[81]) صحيح البخاري الجهاد والسير (٢٩٤٦) صحيح مسلم الإيمان (٢١) سنن الترمذي الإيمان (٢٦٠٦) سنن النسائي تحريم الدم (٣٩٧١) سنن أبو داود الجهاد (٢٦٤٠) سنن ابن ماجه الفتن (٣٩٢٨) مسند أحمد بن حنبل (١/ ١١).

رأي سفيان الثوري، ويسألونه عما لديه وعما يقول، قال: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته عن رسول الله ﷺ، ثم يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول في سورة النور: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور٦٣].

ولما ذكر عند أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رجلا يدعو إلى القرآن، وإلى ترك السنة، قال: دعوه فإنه ضال؛ والمقصود: أن السلف الصالح عرفوا هذا الأمر، ونبغت عندهم نوابغ؛ بسبب الخوارج في هذا الباب، فاشتد إنكارهم عليهم، وضللوهم، مع أنه إنكار له شبهة بالنسبة إلى الخوارج، وماعتقدوه في بعض الصحابة ﷺ.(٨٢)

أما هؤلاء المتأخرون المنكرون للسنة، فقد أتوا منكرا عظيما، وببلاء كبير، ومعصية عظيمة، حيث قالوا: إن السنة لا يحتج بها، وطعنوا فيها وفي رواتها وفي كتبها، وسار على هذا المنهج وأعلنه كثير من الناس في مصر وفي غيرها، وسموا أنفسهم بالقرآنيين، وقد جهلوا ما قاله علماء السنة وما فعلوه؛ حيث احتاطوا للسنة احتياطا كثيرا، إذ تلقوها أولا: عن الصحابة حفظا ودرسوها وحفظوها حفظا كاملا، وحفظا دقيقا وبعناية تامة، ونقلوها إلى من بعدهم، ثم ألف العلماء السنة في القرن الثاني وفي القرن الثالث، وقد كثر ذلك في القرن الثالث، فألفوا الكتب وجمعوا الأحاديث؛ حرصا على السنة وحفظا لها وصيانتها، فانتقلت من الصدور إلى الكتب المحفوظة

---

٨٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز ابن باز ﷺ (ج ٨ / ١٤١، ١٤٠).

المتداولة المتناقلة، التي لا ريب فيها ولا شك، ثم نقبوا عن الرجال وعرفوا ثقتهم من ضعيفهم، ومن سيئ الحفظ منهم، حتى حرروا ذلك أتم تحرير، وبينوا من يصلح للرواية عنه من الرجال ومن لا يصلح للرواية، ومن يحتج به ومن لا يحتج به؛ واعتنوا بما قد وقع من بعض الناس من أوهام وأغلاط، وعرفوا الكذابين والوضاعين، فألفوا فيهم وأوضحوا أسماءهم، فأيد الله سبحانه وتعالى بهم السنة، وأقام بهم الحجة وقطع بهم المعذرة، وزال تلبيس الملبسين، وانكشف ضلال الضالين، وبقيت السنة بحمد الله جلية واضحة، لا شبهة فيها ولا غبار عليها، وكان الأئمة يعظمون ذلك ويدققون كثيرا، وإذا رأوا من أحد تساهلا بالسنة، أو إعراضا أنكروا عليه، ومن ذلك أن ذات يوم حدث بين عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وبين أحد أبنائه أمر؛ بسبب قول النبي ﷺ: {لا تمنعوا إماء الله مساجد الله}([83]). فقال بعض أبنائه: والله لنمنعهن، ـ عن اجتهاد منه وخوف من تساهل النساء في ذلك، وليس قصده إنكار السنة، فأقبل عليه عبد الله رضي الله عنه وسبه سبا سيئا، وقال: أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقول: والله لنمنعهن!([84])

ورأى عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه بعض أقاربه يخذف بالحصى، فقال له: {نهى رسول الله ﷺ عن الخذف وقال: إنه لا يصيد صيدا ولا ينكأ عدوا، ثم رآه في وقت آخر يخذف، فقال: أقول لك: إن رسول الله نهى عن هذا، ثم

---

[83]) صحيح البخاري الجمعة (٨٥٨)،صحيح مسلم الصلاة (٤٤٢)،سنن ابن ماجه المقدمة (١٦)،مسند أحمد بن حنبل (٢/ ١٦).

[84]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله (ج ٨ / ١٤٢).

تخذف؟ لا أكلمك أبدا}([85])

فالصحابة ﭫ كانوا يعظمون هذا الأمر جدا، ويحذرون الناس من التساهل بالسنة، أو الإعراض عنها أو الإنكار لها بأي رأي من الآراء، أو اجتهاد من الاجتهادات، وهكذا علماء السنة بعدهم.

قال أبو حنيفة ﬗ في هذا المعنى: إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى العين والرأس، وإذا جاء عن الصحابةﭫ فعلى العين والرأس، وإذا جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال.

وقال مالك ﬗ: ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر، يعني: رسول الله ﷺ.

وقال ﬗ أيضا: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها: وهو اتباع الكتاب والسنة.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثا صحيحا ثم رأيتموني خالفته، فاعلموا أن عقلي قد ذهب. وفي لفظ آخر قال: إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ وقولي يخالفه، فاضربوا بقولي الحائط.

وقال أحمد ﬗ: لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا الشافعي، وخذوا من حيث أخذنا.

وكلام أهل العلم في هذا الأمر كثير، والأمر في ذلك واضح وجلي، وقد تكلم أهل العلم في هذا المقام كلاما كثيرا. كأبي العباس ابن تيمية ، وابن

---

[85]) صحيح البخاري تفسير القرآن (٤٥٦١)،سنن النسائي القسامة (٤٨١٥)،سنن أبو داود الأدب (٥٢٧٠)،سنن ابن ماجه الصيد (٣٢٢٧)،مسند أحمد بن حنبل (٥/ ٥٦)،سنن الدارمي المقدمة (٤٤٠).

القيم، وابن كثير رحمهم الله تعالى وغيرهم، وأوضحوا أن من أنكر السنة فقد ضل سواء السبيل.

ومن عظم آراء الرجال وقدمها على السنة، فقد ضل وأخطأ، وأن الواجب عرض آراء الرجال مهما عظموا على كتاب الله وسنة رسولهﷺ، فما شهدا له بالقبول قبل، وما لم يشهدا له بالقبول لم يقبل، والأصل في هذا: قول الله تعالى: في سورة النساء [الآية ٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[الآية ٥٩] وقوله سبحانه : في سورة الشورى ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِّ﴾[الآية ١٠].

وقد كتب الحافظ السيوطي رحمه الله رسالة سماها : (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة)، وذكر في أولها: أن من أنكر السنة وزعم أنه لا يحتج بها فقد كفر بالإجماع، ونقل كثيرا من كلام السلف في ذلك.

فهذه مكانة السنة من الإسلام، وأنها الأصل الثاني من أصول الدين، وأنها حجة مستقلة قائمة بنفسها، يجب الأخذ بها، والرجوع إليها متى صح السند عن رسول اللهﷺ بذلك.

فنسأل الله تعالى التوفيق والسداد والاستقامة على ذلك، والعافية من كل ما يخالف شرعه، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وهكذا " شهادة محمدا رسول الله "على الرجل والمرأة أن يشهدا جميعا أن محمدا عبد الله ورسولهﷺ حقا، أرسله الله إلى الناس عامة، من الجن والإنس والعرب والعجم، والذكور والإناث والأغنياء والفقراء والرؤساء والمرؤوسين، عليهم جميعا أن يطيعوا هذا الرسول الكريم ﷺ ويصدقوه، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الهاشمي العربي المكي، ثم المدني ﷺ، بعثه الله من أشرف قبيلة وفي أشرف البلاد، وهي مكة المكرمة وبأشرف دين، وهو الإسلام؛ فعلى جميع الثقلين أن يؤمنوا به وينقادوا له ﷺ، ويؤمنوا بأنه خاتم الأنبياء لا نبي بعده؛ لأن الله تعالى قال في كتابه العظيم : في سورة الأعراف ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الآية ١٥٨] وقال تعالى: في سورة سبأ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [الآية ٢٨] وقال تعالى: في سورة الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الآية ١٠٧] فهو ﷺ رحمة لجميع العالمين، ورسول لجميع العالمين من الجن والإنس، فعليهم أن يؤمنوا به، ويصدقوه وينقادوا لأوامره ونواهيه، ويعملوا بشرعه، ويشهدوا أنه خاتم النبيين؛[٨٦] كما قال تعالى: في سورة الأحزاب ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الآية ٤٠]

فالواجب على المسلمين طاعة هذا الرسول الكريمﷺ، وقد قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ

---

[٨٦]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله (ج ٥/ ٢١١).

وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤] وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠] وقال النبي ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».(٨٧)

فالواجب على أهل الإسلام العناية بطاعة الرسولﷺ، في كل الأمور، في الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإعفاء اللحى، وقص الشوارب، وعدم إسبال الثياب إلى غير ذلك، مما جاء به الرسولﷺ، فيجب علينا أن نأخذ به؛ فعلاً للأوامر وتركاً للنواهي، وهذا هو طريق الجنة وطريق السعادة، يقول الله سبحانه في كتابه العظيم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهَّ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ([النساء:١٤،١٣] وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهَّ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهَّ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨] فالهداية والسلامة والنجاة والفلاح في اتباعهﷺ، وطاعة أوامره وترك نواهيه.

---

(٨٧) رواه البخاري رقم (٧٢٨٠).

وقال جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] فمن كان يحب الله، ويحب رسوله ﷺ، فعليه أن يتبع هذا الرسول العظيمﷺ ، فاتباعه والتمسك بما جاء به، هو السبيل الوحيد للمغفرة ودخول الجنة، والنجاة من النار ولمحبة الله للعبد.(٨٨) فإن من لم يرض بحكم الرسولﷺ؛ فهو كافر.

فالواجب الرضا بشرع الله والرضا بحكم الله سبحانه وتعالى، فمن كره حكم الله؛ فهو كافر(٨٩)، قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ([محمد:٩]، نسأل الله العافية، رزق الله الجميع العافية.

الناقض السادس: ويقع في الردة ونقض الإيمان من استهزأ بشيء من دين الرسولﷺ أو ثوابه أو عقابه، والدليل قوله تعالى: في سورة التوبة ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [الآية ٦٥،٦٦]

وقد أجمع علماء الإسلام في جميع الأعصار، والأمصار على كفر من استهزأ بالله، أو رسوله أو كتابه، أو شيء من الدين، وأجمعوا على أن من استهزأ بشيء من ذلك، وهو مسلم أنه يكون بذلك كافرا مرتدا عن الإسلام، يجب قتله، لقول الرسول ﷺ: من بدل دينه فاقتلوه(٩٠).

---

٨٨) نور على الدرب رقم (١١٧).

٨٩) كتاب التوحيد موسوعة، باب قوله تعالى : الم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك) (ص ٢٦٥).

٩٠) صحيح البخاري الجهاد والسير (٢٨٥٤)،سنن الترمذي الحدود (١٤٥٨)،سنن النسائي تحريم الدم (٤٠٦٠).

ومن الأدلة القاطعة على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه؛ أن الاستهزاء تنقص واحتقار للمستهزأ به، والله سبحانه له صفة الكمال، وكتابه من كلامه، وكلامه من صفات كماله عز وجل، ورسوله محمد ﷺ هو أكمل الخلق وسيدهم؛ وخاتم المرسلين وخليل رب العالمين، فمن استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه، أو شيء من دينه فقد تنقصه واحتقره، واحتقار شيء من ذلك، وتنقصه كفر ظاهر، ونفاق سافر، وعداء لرب العالمين، وكفر برسوله الأمين ﷺ.

وقد نقل غير واحد من أهل العلم، إجماع العلماء على كفر من سب الرسول الكريم أو تنقصه ﷺ، وعلى وجوب قتله.

قال الإمام أبو بكر بن المنذر رحمه الله: أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل، وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي رحمهم الله تعالى.

وقوله: عوام: جمع عامة، والعامة هنا بمعنى الجماعة، فمراده رحمه الله أن جماعات العلماء، أجمعوا على وجوب قتل من سب النبي ﷺ.

ولا شك أن السب يتنوع أنواعا كثيرة، ولا ريب أن الاستهزاء به ﷺ وتنقصه، وتمثيله بحيوان حقير من أقبح السب(٩١)، وأعظم التنقص، فيكون فاعل ذلك كافرا حلال الدم والمال.

---

[٩١]) يشير الشيخ رحمه الله إلى ما ورد في صحيفة صوت الإسلام في القاهرة في الرد على الجريدة الفاجرة، والكاتب الفاجر الذي همزولمز النبي ﷺ فيها؛ ورده رحمه الله عليها في كتابه محمد ﷺ بين الجافي والغالي.

وقال القاضي عياض رحمه الله: أجمعت الأمة على قتل متنقصه وسابه من المسلمين.

وقال محمد بن سحنون من أئمة المالكية رحمه الله: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جاء بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: بعدما نقل أقوال العلماء في شاتم الرسول ﷺ ومتنقصه في كتابه: الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ ما نصه: وتحرير القول فيه أن الساب إن كان مسلما، أنه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: من شتم الرسول ﷺ، أو انتقصه مسلما كان أو كافرا فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب([٩٢])

الناقض السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: في سورة البقرة ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة ١٠٢].

السحر وأنواعه: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

إن السحر من الجرائم العظيمة، ومن أنواع الكفر، وهو مما ابْتُلِيَ به الناس

---

[٩٢]) فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله(ج ٦/ ٢٥٤)

قديما وحديثا، في الأمم الماضية، وفي الجاهلية، وفي هذه الأمة، وعلى حسب كثرة الجهل، وقلة العلم، وقلة الوازع الإيماني والسلطاني يكثر أهل السحر والشعوذة، وينتشرون في البلاد للطمع في أموال الناس، والتلبيس عليهم، ولأسباب أخرى، وعندما يظهر العلم ويكثر الإيمان، ويقوى السلطان الإسلامي يقل هؤلاء الخبثاء وينكمشون، وينتقلون من بلاد إلى بلاد؛ لالتماس المحل الذي يروج فيه باطلهم، ويتمكنون فيه من الشعوذة والفساد.

وقد بين الكتاب والسنة أنواع السحر وحكمها.

فالسحر سمي سحرا؛ لأن أسبابه خفية، ولأن السحرة يتعاطون أشياء خفية يتمكنون بها من التخييل على الناس، والتلبيس عليهم، والتزوير على عيونهم، وإدخال الضرر عليهم، وسلب أموالهم إلى غير ذلك، بطرق خفية لا يفطن لها في الأغلب، ولهذا يسمى آخر الليل سحرا؛ لأنه يكون في آخره عند غفلة الناس، وقلة حركتهم، ويقال للرئة سحر؛ لأنها في داخل الجسم وخفية.

ومعناه في الشرع: ما يتعاطاه السحرة من التخييل والتلبيس الذي يعتقده المشاهد حقيقة، وهو ليس بحقيقة، كما قال الله سبحانه عن سحرة فرعون: في سورة طه ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ

الْأَعْلَى﴾﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾. [طه الآية٦٨،٦٧،٦٦،٦٥].(٩٣)

وقد يكون السحر من أشياء يفعلها السحرة مع عقد ينفثون فيها، كما قال الله سبحانه: في سورة الفلق الآية ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ وقد يكون من أعمال أخرى يتوصلون إليها من طريق الشياطين، فيعملون أعمالا قد تغير عقل الإنسان، وقد تسبب مرضا له، وقد تسبب تفريقا بينه وبين زوجته فتقبح عنده، ويقبح منظرها فيكرهها، وهكذا المرأة قد يعمل معها الساحر ما يبغض زوجها إليها، وينفرها من زوجها، وهو كفر صريح بنص القرآن، حيث قال عز وجل: في سورة البقرة﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [الآية ١٠٢] فأخبر سبحانه عن كفرهم بتعليمهم الناس السحر، وقال بعدها: في نفس سورة الآية ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ثم قال سبحانه: في نفس الآية ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يعني: هذا السحر وما يقع منه من الشر، كله بقدر سابق بمشيئة الله ربنا جل وعلا، ولا يقع في ملكه ﷻما لا يريد؛ بل لا يقع شيء في هذه الدنيا ولا في الآخرة إلا بقدر سابق؛ لحكمة بالغة شاءها سبحانه وتعالى، ففد يبتلى هؤلاء بالسحر، ويبتلى هؤلاء

---

٩٣) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (٦٦/٨).

بالمرض، ويبتلى هؤلاء بالقتل . . إلى غير ذلك، ولله الحكمة البالغة فيما يقضي ويُقَدِّرُ، وفيما يشرعه سبحانه لعباده، ولهذا قال سبحانه: في نفس الآية ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة١٠٢] يعني: بإذنه الكوني القدري لا بإذنه الشرعي، فالشرع يمنعهم من ذلك ويحرم عليهم ذلك، لكن بالإذن القدري الذي مضى به علم الله، وقدره السابق أنه يقع من فلان السحر، ويقع من فلانة، ويقع على فلان، وعلى فلانة، كما مضى قدره: بأن فلانا يصاب بقتل، أو يصاب بمرض كذا، ويموت في بلد كذا، ويرزق كذا، ويغتني أو يفتقر، وكله بمشيئة الله وقدره سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا: في سورة القمر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر٤٩] وقال سبحانه: في سورة الحديد ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية ٢٢] فهذه الشرور التي قد تقع من السحرة ومن غيرهم، لا تقع عن جهل من ربنا ﷻ فهو العالم بكل شيء، ولا يخفى عليه خافية جل وعلا، كما قال سبحانه: في سورة الأنفال﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية ٧٥] وقال سبحانه: سورة الطلاق ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الآية ١٢] فهو يعلم كل شيء، ولا يقع في ملكه ما لا يريد سبحانه وتعالى، ولكن له الحكمة البالغة، والغايات المحمودة

فيما يقضي ويقدر مما يقع فيه الناس من عز وذل، وإزالة ملك، وإقامة ملك، ومرض وصحة، وسحر وغيره.([94])

وسائر الأمور التي تقع في العباد كلها عن مشيئة، وعن قدر سابق منه سبحانه وتعالى؛ وهؤلاء السحرة قد يتعاطون أشياء تخييلية، كما تقدم في قوله عز وجل: في سورة طه ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ سورة طه﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [الآية ٦٥،٦٦] يخيل إلى الناظر أن هذه العصي، وأن هذه الحبال حيات تسعى في الوادي، وهي حبال وعصي، لكن السحرة خيلوا للناس لما أظهروا أمام أعينهم من أشياء تعلموها، تغير الحقائق على الناس بالنظر إلى أبصارهم، لذلك قال سبحانه: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ وقال تعالى في سورة الأعراف:﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية١١٦] وهي في الحقيقة ما تغيرت، حبال وعصي، ولكن تغير نظرهم إليها؛ بسبب السحر فاعتقدوها حيات؛ بسبب التلبيس الذي حصل من السحرة، وتسميه بعض الناس:(تقمير) وهو: أن يعمل الساحر أشياء تجعل الإنسان لا يشعر بالحقيقة على ما هي عليه، فيصبح بصره لا يدرك الحقيقة كما هي، فقد يؤخذ من حانوته، أو منزله ما فيه ولا يشعر بذلك، يعني أنه لم يعرف الحقيقة، فقد يرى الحجر دجاجة، أو يرى الحجر بيضة، أو ما أشبه ذلك؛ لأن الواقع تغير في عينيه؛

---

[94]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (٦٨/٨).

بسبب عمل الساحر وتلبيسه ، فسحرت عيناه، وجعل هناك من الأشياء التي يتعاطاها السحرة ومن المواد ما تجعل عينيه لا تريان الحقيقة على ما هي عليه، هذا من السحر الذي سماه الله ﷻ: عظيما في قوله جل وعلا في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية١١٦].

والصحيح عند أهل العلم: أن الساحر يقتل بغير استتابة؛ لعظم شره وفساده، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يستتاب، وأنهم كالكفرة الآخرين يستتابون، ولكن الصحيح من أقوال أهل العلم: أنه لا يستتاب؛ لأن شره عظيم، ولأنه يخفي شره، ويخفي كفره، فقد يدعي أنه تائب وهو يكذب، فيضر الناس ضررا عظيما؛ فلهذا ذهب المحققون من أهل العلم إلى أن من عرف وثبت سحره يقتل، ولو زعم أنه تائب ونادم، فلا يصدق في قوله؛ ولهذا ثبت عن عمر أنه كتب إلى أمراء الأجناد، أن يقتلوا كل من وجدوا من السحرة، حتى يتقى شرهم، قال أبو عثمان النهدي: فقتلنا ثلاث سواحر، وهكذا جاء في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة، وهكذا صح عن حفصة رضي الله عنها أنها قتلت جارية لها، لما علمت أنها تسحر قتلتها، وهكذا جندب بن عبد الله رضي الله عنه الصحابي الجليل لما رأى ساحرا يلعب برأسه يقطع رأسه ويعيده، يخيل على الناس بذلك، أتاه من جهة لا يعلمها فقتله، وقال: (أعد رأسك إن كنت صادقا).

والمقصود: أن السحرة شرهم عظيم؛ ولهذا يجب أن يقتلوا، فولي الأمر إذا

عرف أنهم سحرة، وثبت لديه ذلك بالبينة الشرعية، وجب عليه قتلهم ؛ صيانة للمجتمع من شرهم وفسادهم.(٩٥)

ومن أصيب بالسحر ليس له أن يتداوى بالسحر، فإن الشر لا يزال بالشر، والكفر لا يزال بالكفر، وإنما يزال الشر بالخير؛ ولهذا لما سئل ﷺعن النشرة قال: }هي من عمل الشيطان{ (٩٦) والنشرة المذكورة في الحديث: هي حل السحر عن المسحور بالسحر.

أما إن كان بالقرآن الكريم، والأدوية المباحة والرقية الطيبة، فهذا لا بأس به، وأما بالسحر فلا يجوز كما تقدم؛ لأن السحر عبادة للشياطين، فالساحر إنما يسحر ويعرف السحر بعد عبادته للشياطين، وبعد خدمته للشياطين، وتقربه إليهم بما يريدون، وبعد ذلك يعلمونه ما يحصل به السحر، لكن لا مانع والحمد لله من علاج المسحور بالقراءة وبالتعوذات الشرعية، وبالأدوية المباحة، كما يعالج المريض من أنواع المرض من جهة الأطباء، وليس من اللازم أن يشفى؛ لأنه ما كل مريض يشفى، فقد يعالج المريض فيشفى إذا كان الأجل مؤخرا، وقد لا يشفى ويموت في هذا المرض، ولو عرض على أحذق الأطباء وأعلم الأطباء؛ لأنه متى نزل الأجل لم ينفع الدواء ولا العلاج؛ لقول الله تعالى: في سورة المنافقون ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ وإنما ينفع الطب، وينفع الدواء إذا لم يحضر الأجل وقدر

---

٩٥) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (٨/٦٩،٧٠).

٩٦) سنن أبو داود الطب (٣٨٦٨)،مسند أحمد بن حنبل (٣/ ٢٩٤).

الله للعبد الشفاء، كذلك هذا الذي أصيب بالسحر قد يكتب الله له الشفاء، وقد لا يكتب له الشفاء؛ ابتلاء وامتحانا، وقد يكون لأسباب أخرى الله يعلمها جل وعلا، منها: أنه قد يكون الذي عالجه ليس عنده العلاج المناسب لهذا الداء([٩٧])، وقد صح عن النبيﷺ أنه قال: {لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله عز وجل} ([٩٨])، وقالﷺ: {ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله} ([٩٩]).

ومن العلاج الشرعي: أن يعالج السحر بالقراءة، فالمسحور يقرأ عليه أعظم سورة في القرآن: وهي الفاتحة، تكرر عليه، فإذا قرأها القارئ الصالح المؤمن الذي يعرف أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأنه سبحانه وتعالى مصرف الأمور، وأنه متى قال للشيء: كن فإنه يكون، فإذا صدرت القراءة عن إيمان، وعن تقوى، وعن إخلاص، وكرر ذلك القارئ فقد يزول السحر ويشفى صاحبه بإذن الله.

وقد مر بعض الصحابة ﷺ على بادية قد لدغ شيخهم، يعني: أميرهم، وقد فعلوا كل شيء ولم ينفعه، فقالوا لبعض الصحابة: هل فيكم من راق؟ قالوا: نعم. فقرأ عليه أحدهم سورة الفاتحة، فقام كأنما نشط من عقال في الحال، وعافاه الله من شر لدغة الحية. والنبيﷺ قال: {لا بأس بالرقى ما لم

---

[٩٧]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (٧١/٨).

[٩٨]) صحيح مسلم السلام (٢٢٠٤)،مسند أحمد بن حنبل (٣/ ٣٣٥).

[٩٩]) صحيح البخاري القدر (٦٢٣٠)،سنن أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٤٠).

تكن شركا} (١٠٠). وقد رقى ورقي ﷺ، فالرقية فيها خير كثير، وفيها نفع عظيم، فإذا قرئ على المسحور بالفاتحة، وبآية الكرسي، وبقل هو الله أحد، والمعوذتين، أو بغيرها من الآيات، مع الدعوات الطيبة الواردة في الأحاديث عن النبي ﷺ، مثل قوله ﷺ لما رقى بعض المرضى: {اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما} (١٠١). يكرر ذلك ثلاث مرات أو أكثر، ومثل ما ورد عنه ﷺ: أن جبريل عليه السلام رقى النبي ﷺ بقوله: {باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك)} (١٠٢). ثلاث مرات فهذه رقية عظيمة وثابتة عن النبي ﷺ، يشرع أن يرقى بها اللديغ والمسحور والمريض، ولا بأس أن يرقى المريض والمسحور واللديغ بالدعوات الطيبة، وإن لم تكن منقولة عن النبي ﷺ إذا لم يكن فيها محذور شرعا؛ لعموم قوله ﷺ: {لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا} .(١٠٣) وقد يعافي الله المريض والمسحور وغيرهما بغير الرقية، وبغير أسباب من الإنسان؛ لأنه سبحانه هو القادر على كل شيء، وله الحكمة البالغة في كل شيء، وقد قال سبحانه في كتابه الكريم: في سورة يس ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[الآية٨٢] له سبحانه الحمد والشكر على كل ما يقضيه

---

(١٠٠) صحيح مسلم السلام (٢٢٠٠)،سنن أبو داود الطب (٣٨٨٦).

(١٠١) صحيح البخاري الطب (٥٤١٨)،صحيح مسلم السلام (٢١٩١)،سنن ابن ماجه الطب (٣٥٢٠).

(١٠٢) صحيح مسلم السلام (٢١٨٦)،سنن الترمذي الجنائز (٩٧٢)،سنن ابن ماجه الطب (٣٥٢٣).

(١٠٣) صحيح مسلم السلام (٢٢٠٠)،سنن أبو داود الطب (٣٨٨٦).

ويقدره، وله الحكمة البالغة في كل شيء عز وجل، وقد لا يشفى المريض؛ لأنه قد تم أجله وقدر موته بهذا المرض، ومما يستعمل في الرقية آيات السحر تقرأ في الماء، وهي آيات السحر في سورة الأعراف، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الآية ١١٨،١١٩،١١٧] وفي سورة يونس عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ إلى قوله جل وعلا: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[الآية ٨٢،٨١،٨٠،٧٩] وكذلك ما جاء في سورة طه من قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى إلى قوله سبحانه: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[من الآية ٦٥إلى ٦٩] وهذه الآيات مما ينفع الله بها في رقية السحر، وإن قرأ القارئ هذه الآيات في الماء وقرأ معها سورة الفاتحة، وآية الكرسي، وبقل هو الله أحد، والمعوذتين، ثم صبه على من يظن أنه مسحور، أو محبوس عن زوجته، فإنه يشفى بإذن الله، إن وضع في الماء سبع ورقات من السدر الأخضر، بعد دقها كان مناسبا، كما ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في (فتح المجيد) عن بعض أهل العلم في باب (ما جاء في النشرة).[١٠٤]

ويستحب أن يكرر قراءة السور الثلاث، وهي: سورة الإخلاص، و سورة الفلق، و سورة الناس، ثلاث مرات.

---

[١٠٤]) كتاب التوحيد، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله،باب: ما جاء في النشرة (ص ٢٠٤).

والمقصود: أن هذه الأدوية وما أشبهها هي، مما يعالج به هذا البلاء: وهو السحر، ويعالج به أيضا من حبس عن زوجته، وقد جرب ذلك كثيرا فنفع الله به، وقد يعالج بالفاتحة وحدها فيشفى، وقد يعالج بقل هو الله أحد والمعوذتين وحدها ويشفى بإذن الله.

ومن المهم جدا أن يكون المعالج والمعالج عندهما إيمان صادق، وعندهما ثقة بالله، وعلم بأنه سبحانه مصرف الأمور، وأنه متى شاء شيئا كان، وإذا لم يشأ لم يكن سبحانه وتعالى، فالأمر بيده جل وعلا، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فعند الإيمان وعند الصدق مع الله من القارئ والمقروء عليه، يزول المرض بإذن الله وبسرعة، وتنفع الأدوية الحسية والمعنوية.

نسأل الله أن يوفقنا جميعا لما يرضيه، إنه سميع قريب.

والواجب على كل من لديه علم من الكتاب والسنة أن يبلغ في بلاده، وفي مجتمعه، وفي أهله، حتى يكون الناس على علم بهذه الأمور، وحتى ينتشر العلم؛ ولهذا كانﷺ إذا خطب الناس وذكرهم يقول: {فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع} [١٠٥] ويقول: {بلغوا عني ولو آية.} [١٠٦]

فالواجب على من سمع من أهل العلم، أن يبلغ الفائدة التي عقلها وفهمها،

---

[١٠٥] صحيح البخاري الحج (١٦٥٤)،صحيح مسلم القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٩)،سنن ابن ماجه المقدمة (٢٣٣)،مسند أحمد بن حنبل (٥/ ٣٧)،سنن الدارمي المناسك (١٩١٦).

[١٠٦] صحيح البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٧٤)،سنن الترمذي العلم (٢٦٦٩)،مسند أحمد بن حنبل (٢/ ١٥٩)،سنن الدارمي المقدمة (٥٤٢).

وليحذر أن يبلغ ما لم يعقل وما لم يفهم؛ لأن بعض الناس قد يبلغ أشياء يغلط فيها، فيكون كاذبا ومضرا بمن بلغ عنه وبالمبلغين، فلا يجوز له التبليغ إلا عن علم، وعن تحقق وبصيرة مما سمع، حتى يبلغ كما سمع، وكما علم، من دون زيادة ومن دون نقص، وإلا فليمسك حتى لا يكذب على من بلغ عنه، وحتى لا يضر غيره.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.(١٠٧)

الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، قوله تعالى: في سورة المائدة ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ والدليل مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.[الآية ٥١]

الناقض التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمدﷺ فهو كافر؛ لقوله تعالى: في سورة آل عمران، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية ٨٥].

الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله بأن لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [الآية ٢٢]

---

١٠٧) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (٧٥،٧٤،٧٣،٧٢/٨).

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرا، وأكثر ما يكون وقوعا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، انتهى كلامه رحمه الله.[١٠٨]

ويدخل في القسم الرابع: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببا في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى، ويدخل في الرابع أيضا: من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضا كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله إجماعا، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين. ونسأل الله أن يوفقنا جميعا لما يرضيه، وأن يهدينا وجميع المسلمين صراطه المستقيم، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

[١٠٨]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (ج ١/ ١٣٢).

السؤال عن معنى حديث: {وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان}

سؤال: أحسن الله إليكم يا شيخ! ذكر في اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن من نواقض الإسلام ألا ينكر المنكر بقلبه؟

الجواب: إن بعض أهل العلم من يرى، أن من لا ينكر المنكر ولا حتى بقلبه، فمثل هذا ليس في قلبه حبة خردل من إيمان، وهذا ضد الإيمان، ولو ادعى الإيمان، فهذا القول: من باب خلو قلبه من الإيمان؛ والقول الآخر: أن المراد ليس في قلبه حبة خردل مما يتعلق بالأمر والنهي، وبما يتعلق بالإنكار، وليس معناه أنه كافر.

مداخلة: يذكر كذلك عن ابن القيم رحمه الله أن هذا محل خلاف يا شيخ؟

الشيخ: الذي يظهر لي أن هذا فيما يتعلق بالأمر والنهي، وأن عدم انكاره مثلاً، هو جهل منه.[١٠٩]

سؤال: هل نواقض الإسلام محددة بعدد معين وما هي؟

جواب: نواقض الإسلام كثيرة وليس لها حصر؛ لأن عددها قد يحصره زيد ولا يحصره عمرو، حسب آراء العلماء واجتهادهم، واستنباطهم الأحكام من الأدلة الشرعية، فقد يعدها زيد مثلاً أربعمائة ناقض ويعدها الآخر خمسمائة ناقض؛ لأنه استنبطها من أدلة أخرى، فهذا يخضع للأدلة الشرعية، فنواقض الإسلام تخضع للأدلة الشرعية.

---

[١٠٩]) كشف الشبهات (شرح حديث وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان).

وقد ذكرها العلماء في باب حكم المرتد، من أرادها وجدها في باب حكم المرتد، فليراجع هذا الباب العظيم، ويعتني به حتى يعرف منه نواقض الإسلام، كالشرك بالله وعبادة الأصنام والقبور من دون الله، والاستغاثة بهم والنذر لهم، كل هذا من الردة عن الإسلام، كل هذا من نواقض الإسلام، كذلك سب الدين، وسب الرسولﷺ من نواقض الإسلام، وسب الله سبحانه من نواقض الإسلام، والتنقص من الإسلام، والقول: بأن الزنا والربا ليس بحرام فهو من نواقض الإسلام، وإذا قال: الظلم للناس ليس بحرام فهذا من نواقض الإسلام، وإذا قال: الصلاة أو الزكاة ليست واجبة هذا من نواقض الإسلام، إذا قال: صوم رمضان ليس واجب من نواقض الإسلام، وإذا قال: الحج ليس بواجب مع الاستطاعة من نواقض الإسلام، وإذا قال: الغيبة حلال والنميمة حلال، هذا من نواقض الإسلام.

وهكذا له أقسام كثيرة، لكن من أراد أن يعرفها على الحقيقة، فعليه أن يراجع باب حكم المرتد، عليه أن يدرس هذا الباب في المذاهب الأربعة الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وغيرهم، فعليه أن يدرس هذا الباب، ويتأمل وينظر الأدلة الشرعية، حتى يعرف النواقض.

سؤال: ما هي مبطلات الإسلام؟ وإذا وقع أحد في شيء من المبطلات فكيف يعود إلى الإسلام مرة أخرى، جزاكم الله خيراً؟

جواب: مبطلات الإسلام، وهي نواقض الإسلام، وهي أسباب الردة، وهذه بينها العلماء في باب مستقل في كتب الفقه، وقد سموه: باب حكم

المرتد، ذكروه في أواخر كتب الفقه، عندما ذكروا الديات والقود والحدود، ذكروا هذا الباب، ففي إمكانك أن تراجع هذا الباب في كتب الحنابلة، والشافعية، والمالكية، والحنفية، وكتب أهل الحديث، حتى تستفيد من هذه الكتب العظيمة.

المقصود أن هذا الباب، باب عظيم، ذكروا فيه نواقض الإسلام وأعظمها: الشرك بالله عز وجل، كأن يدعو الأوثان، أو يدعو أصحاب القبور، أو يدعو النجوم، أو يدعو الأصنام، أو يدعو الأشجار والأحجار، يستغيث بها أو ينذر لها، أو يذبح لها، هذا من الشرك الأكبر بالله تعالى.

ومن نواقض الإسلام: كأن يسب الدين، أو يعيبه، أو يتنقصه الإسلام فهذا من نواقض الإسلام.

ومن نواقض الاسلام: الاستهزاء بالدين، الاستهزاء بما قاله الله ورسوله، أو الاستهزاء بالرسولﷺ، أو بالقرآن الكريم، فكل هذا من نواقض الإسلام.

كذلك: إذا استحل ما حرم الله، مثل إذا قال الزنا حلال، أو الخمر حلال، أو الربا حلال، يكون ردة عن الإسلام بإجماع المسلمين.

كذلك: إذا أسقط ما أوجب الله، مثل الذي يقول: الصلاة ليست بواجبة، أو صوم رمضان ليس واجب على المكلفين، أو الزكاة غير واجبة، أو الحج ليس واجبا على المستطيع، هذا كله ردة عن الإسلام، وذكروا أنواعاً كثيرة غير هذه الأشياء.

نواقض لا إله إلَّا الله.

سؤال: سائل يقول: نحن نعلم أن تارك الصلاة كافر، وأن من ضمن الأشياء التي لا يجوز التعامل معه فيها، أنه لا تجوز الصلاة عليه إذا مات وهو تارك للصلاة، وهناك حديث معناه: «صل على من قال: لا إله إلا الله» أرجو الجمع بين هذا وذاك جزاكم الله خيرا؟

جواب: الحديث المذكور: «صل على من قال: لا إله إلا الله» حديث ضعيف، ليس بصحيح عن النبيﷺ، لكن في الباب أحاديث صحيحة، تدل على أن أهل التوحيد لهم حكم الإسلام، لكن إذا التزموا بحق لا إله إلا الله، فالموحد محكوم له بالإسلام إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحكم له بالإسلام، لكن بشرط ألَّا يأتي بشيء ينقض هذا الإسلام، ولهذا في الحديث: «إلا بحقها».

فالمقصود: أنه إذا أتى بالشهادتين ثم أتى بناقض من نواقض الإسلام، فإنه ينتقض إسلامه، فلو جحد وجوب الصلاة، أو جحد تحريم الزنا، أو سب الله ورسوله، كفر عند الجميع، ولو قال: لا إله إلا الله.

فالمقصود: أنه يأتي بالشهادتين ويلتزم بمعناهما وحقهما، ولا يأتي بناقض من نواقض الإسلام، فإذا أتى بناقض كفر، ولا يصلى عليه، ولو قال: لا إله إلا الله، فالمنافقون يقولون: لا إله إلا الله، وهم في الدرك الأسفل من النار، ـ نعوذ بالله ـ والمرتدين الذين ارتدوا عن الإسلام كثير منهم يقول: لا إله إلا الله، لكنهم كفروا بتكذيبهم النبيﷺ، وزعمهم أنه لو كان رسولاً لم يمت، وهكذا كثير من أهل الردة يقولون: لا إله إلا الله، ولكن كفروا بالإيمان بأن مسيلمة نبي، أو المختار نبي، أو ما أشبه ذلك.

فالحاصل: أن الموحد المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام كفر، وصار مرتداً، ولهذا كتب العلماء في مؤلفاتهم باباً، سموه باب حكم المرتد، وذكروا فيه نواقض الإسلام، التي يرتد بها الإنسان ولو كان يقول: لا إله إلا الله ويشهد أن محمداً رسول الله، ومن ذلك إذا جحد وجوب الصلاة، أو جحد وجوب الزكاة، أو جحد وجوب صوم رمضان، أو استحل الزنا، أو استحل شرب الخمر، أو دعا الأموات واستغاث بهم، أو دعا الأصنام أو النجوم أو استهزأ بالدين، كل هذه ردة يكفر بها، ولو قال: لا إله إلا الله.

حكم من أتى بناقض من نواقض الإسلام وهو ينطق بالشهادتين.

سؤال: هل يجوز للمسلم أن يكفر رجلاً مسلماً لا يصلي الصلوات المكتوبة، أو استهزأ بالقرآن، فهل يجوز أن نقول لمثل هؤلاء: كفار وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟

جواب: نعم أيها السائل! إذا وجد ممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ما يقتضي كفره وجب أن يكفر؛ لأن المسلم يكفر بشيء من نواقض الإسلام، فليس من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، معصوماً من أن يقع منه مكفر؛ بل متى وجد منه مكفر كفر به، فالذي يستهزئ بالقرآن، أو يستهزئ بالرسول ﷺ، أو يستهزئ بالصلاة، أو يستهزئ بالصيام، أو بشيء مما شرعه الله، يكون كافرا عند جميع العلماء؛ وقد ذكر العلماء ذلك في باب حكم المرتد، فينبغي لك إذا كنت طالب علم أن تراجع كلام أهل العلم، وإلا فلتعلم أن هذا كفر وضلال وردة عن

الإسلام، كما قال الله جل وعلا: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

وهكذا الذي يترك الصلاة عمداً ولا يصلي هذا كافر أيضاً، في أصح قولي العلماء، وإن لم يجحد وجوبها، متى تركها تهاوناً وتكاسلاً فإنه يكفر بذلك، في أصح قولي العلماء؛ لقول النبيﷺ: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة» فمن ترك عمود الإسلام كفر؛ ولقولهﷺ فيما رواه مسلم في الصحيح: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة» رواه مسلم في الصحيح من حديث جابرؓ؛ ولقولهﷺ أيضاً: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» هذا هو الصواب من أقوال أهل العلم.

وقال بعض أهل العلم: إنه لا يكفر كفراً أكبر؛ بل كفره كفر أصغر؛ ما لم يجحد وجوبها، فإن جحد وجوبها كفر بالإجماع، أما ما دام يعلم أنها فريضة، ولكن يغلب عليه الكسل والتساهل فلا يصلي، فلا يكفر بذلك عند جمع من أهل العلم، ولكن يكون عاصياً معصية عظيمة، أعظم من معصية الزنا وشرب الخمر ونحو ذلك، ويكون كافراً كفراً دون كفر، هذا قول جمع من أهل العلم.

والصواب: القول الأول أنه كافر كفراً أكبر؛ للأحاديث السابقة ولأدلة أخرى دلت على ذلك، فالواجب على أهل الإسلام الحذر من ذلك، والمحافظة على الصلوات والعناية بها، والعناية بأدائها في الجماعة هذا هو الواجب على كل مسلم، وليس قوله: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عاصماً من تكفيره، إذا وجد منه ناقض من نواقض الإسلام، كما

عرفت أيها السائل، فإن الاستهزاء بالدين كفر بالإجماع، ولو قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ وهكذا لو أنكر البعث بعد الموت، أو أنكر الجنة، أو أنكر النار كفر بإجماع المسلمين، ولو قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله؛ لأن إنكاره لهذه الأمور تكذيب للرسولﷺ ، وتكذيب لله فيما أخبر به في كتابه، وهكذا لو سب الدين، أو سب الله سبحانه، أو سب الرسول ﷺ كفر بالإجماع، ولو أتى بالشهادتين، وهكذا لو قال: إن صوم رمضان غير واجب، أو الزكاة مع توافر شروطها غير واجبة، أو الحج مع الاستطاعة غير واجب كفر بالإجماع.

فينبغي لك أيها السائل، وكذا ينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور، والحذر من كل ما يسبب الكفر، والخروج عن دائرة الإسلام، وينبغي للمؤمن أيضاً أن يتفقه في دينه، وأن يتبصر وأن يحذر الوقوع فيما حرم الله عليه، وهو لا يشعر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سؤال: ما حكم موالاة الكفار؟

جواب: الفتوى أن موالاة الكفار بالمودة والمناصرة، واتخاذهم بطانة حرام، وأمر منهي عنه بنص القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾[المجادلة ٢٢]، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾[المائدة٥٧]، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله

لا يهدي القوم الظالمين﴾[المائدة٥١]، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا﴾ [آل عمران ١١٨]، وأخبر سبحانه: أنه إذا لم يكن المؤمنون بعضهم أولياء بعض؛ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض؛ ويتميز هؤلاء عن هؤلاء، فإنها تكون فتنة في الأرض وفساد كبير؛ ولا ينبغي أبدا أن يثق المؤمن بغير المؤمن، مهما أظهر من المودة وأبدى من النصح، فإن الله تعالى يقول عنهم: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾[النساء ٨٩]، ويقول سبحانه لنبيهﷺ، ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾[البقرة ١٢٠]، والواجب على المؤمن أن يعتمد على الله في تنفيذ شرعه، وألا تأخذه فيه لومة لائم، وألا يخاف من أعدائه، فقد قال الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾[آل عمران ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾[المائدة ٥٢]، وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء الله إن الله عليم حكيم﴾[التوبة ٢٨]، والله الموفق(١١٠).

سؤال: هل يعذر المسلم إذا فعل شيئا من الشرك كالذبح والنذر لغير الله

[١١٠]) فتاوي الشيخ ابن عثيمين (١١١٠).

جاهلا؟

جواب: فهذه الأمور على قسمين: قسم يعذر فيه بالجهل، وقسم لا يعذر فيه بالجهل.

فإذا كان من أتى ذلك بين المسلمين، وأتى الشرك بالله سبحانه بينهم، وعبد غير الله، فإنه لا يعذر؛ لأنه مقصر لم يسأل، ولم يتبصر في دينه، فيكون غير معذور في عبادته غير الله، من أموات أو أشجار، أو أحجار أو أصنام، لإعراضه وغفلته عن دينه؛ كما قال الله سبحانه: في سورة الأحقاف ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الآية ٣]؛ ولأن النبي ﷺ لما استأذن ربه أن يستغفر لأمه؛ لأنها ماتت في الجاهلية لم يؤذن له ليستغفر لها؛ لأنها ماتت على دين قومها عباد الأوثان؛ ولأنه ﷺ قال لشخص سأله عن أبيه، قال: { هو في النار، فلما رأى ما في وجهه قال: إن أبي وأباك في النار} (١١١)؛ لأنه مات على الشرك بالله، وعلى عبادة غيره سبحانه وتعالى، فكيف بالذي بين المسلمين وهو يعبد البدوي، أو يعبد الحسين، أو يعبد الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو يعبد الرسول محمدا ﷺ، أو يعبد عليا أو يعبد غيرهم.

فهؤلاء وأشباههم لا يعذرون من باب أولى؛ لأنهم أتوا الشرك الأكبر وهم بين المسلمين، والقرآن بين أيديهم، وهكذا سنة رسول الله ﷺموجودة بينهم، ولكنهم عن ذلك معرضون.(١١٢)

---

١١١) صحيح مسلم الإيمان (٢٠٣)،سنن أبو داود السنة (٤٧١٨)،مسند أحمد بن حنبل (٣/ ١١٩).

١١٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (ج ٤/ ٢٧).

والقسم الثاني: من المسلمين الذين يعذرون بالجهل إذا وقعوا في الشرك، كالذي ينشأ في بلاد بعيدة عن ديار الإسلام في أطراف الدنيا، أو لأسباب أخرى كأهل الفترة ونحوهم ممن لم تبلغهم الرسالة، فهؤلاء معذورون بجهلهم، وأمرهم إلى الله عز وجل، والصحيح أنهم يمتحنون يوم القيامة فيؤمرون، فإن أجابوا دخلوا الجنة، وإن عصوا دخلوا النار؛ لقوله جل وعلا: في سورة الإسراء: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الآية ١٥]؛ ولأحاديث صحيحة وردت في ذلك.

وقد بسط العلامة ابن القيم رحمه الله الكلام في هذه المسألة في آخر كتابه: طريق الهجرتين، لما ذكر طبقات المكلفين، فليراجع هناك لعظم فائدته.(١١٣)

حكم التوسل، ومعاشرة الفساق.

سؤال: هل يجوز التوسل بجاه فلان أو حق فلان ، وهل تجوز معاشرة الفساق وصحبتهم؟

جواب: هذا من البدع التي لم يشرعها الله، وهذا من البدع عند جمهور أهل العلم، وإنما المشروع التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، وتوحيده ومحبته والإيمان به، وبالأعمال الصالحات، كما قال سبحانه: في سورة الأعراف ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الآية ١٨٠] ولم يقل سبحانه: فادعوه بجاه محمد ﷺ، أو بجاه الأنبياء عليهم السلام أو بجاه الأولياء، أو بحق بيته العتيق، أو نحو ذلك، وإنما قال سبحانه: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

١١٣) ابن القيم رحمه الله كتابه طريق الهجرتين وباب السعادتين(ص ٨٦٤،٨٦٥).

فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي بأسمائه هو وصفاته، ويدعى أيضا بتوحيده، كما جاءت الأحاديث بذلك، ومنها حديث: {اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.} ([114]) ومن ذلك حديث أهل الغار، الذين انطبقت عليهم صخرة، لما أووا إلى غار في ليل فيه مطر، فقد انطبقت عليهم صخرة وسدت عليهم فم الغار، ولم يستطيعوا الخروج، فقالوا فيما بينهم: لا ينجينا من هذا إلا أن نتوسل إلى الله بأعمالنا الخالصة، فتوسلوا إلى الله، فتوسل أحدهم إلى الله ببره لوالديه، والثاني توسل بعفته عن الزنى، والثالث توسل بأدائه للأمانة، ففرج الله عنهم.

فعلم بذلك مما ذكرنا، أن العبد إذا توسل إلى الله بأسمائه أو بتوحيده، أو بإيمانه بالله ومحبته له، أو بالإيمان بنبيه ﷺ ومحبته له، أو بأداء ما افترض الله عليه، من طاعته، أو بترك ما حرم عليه، فهو توسل مشروع وصاحبه حري بالإجابة.([115]).

سؤال: ماحكم مجالسة الفساق ومعاشرتهم؟

جواب: وأما معاشرة الفساق ومجالستهم فلا تجوز؛ لأنهم يجرون إلى فسقهم وضلالهم، لكن إذا خالطهم للدعوة إلى الله، وإنكار ما هم عليه من الباطل، وتوجيههم للخير، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فهذا لا بأس به؛

---

[114]) سنن الترمذي الدعوات (٣٤٧٥)،سنن ابن ماجه الدعاء (٣٨٥٧).

[115]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (ج ٤/ ٢٨، ٢٩)

لأن المسلم مأمور بذلك، أما من يتخذهم أصحابا وخلانا، يجالسهم ويأكل معهم ويأنس بهم، فذلك لا يجوز.

التحاكم إلى القوانين العرفية والقوانين القبلية:

سؤال: من يتحاكموا إلى القوانين العرفية، والقوانين القبلية، هل حققوا معنى لا إله إلا الله؟

جواب: أما تحكيم القوانين والأعراف القبلية، فهذا منكر لا يجوز، والواجب تحكيم شرع الله، كما قال سبحانه: في سورة النساء فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الآية ٦٥].

والواجب على جميع الدول المدعية الإسلام، أن تحكم شرع الله وأن تدع تحكيم القوانين، وعلى القبيلة أي قبيلة، أن ترجع إلى حكم الله، ولا ترجع إلى قوانينها وأعرافها وسوالف آبائها.

أما الصلح فلا بأس به من غير إلزام، فإذا أصلح شيخ القبيلة، أو أحد من أفراد القبيلة، وأعيانها بين متخاصمين صلحا، لا يخالف شرع الله، بأن أشاروا على هذا بأن يسقط بعض حقه، وهذا بأن يسامح عن بعض حقه، وهذا بأن يعفو؛ فلا بأس بهذا، أما أن يلزموهم بقوانين ترجع إلى أسلافهم، وآبائهم فهذا لا يجوز، أما الصلح بالتراضي على أن هذا يسمح عن بعض حقه، أو يسمح عن سبه لأخيه، أو ما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به[١١٦] لقول

---

[١١٦]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (ج ٤/ ٣٢)

الله تعالى: والصلح خير﴾ ولقول النبي ﷺ {الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما}([117])

توضيح معنى الشرك بالله.

سؤال: ما هو الشرك وما تفسير قوله تعالى : في سورة المائدة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [الآية ٣٥].

جواب: الشرك على اسمه، هو تشريك غير الله مع الله في العبادة؛ كأن يدعو الأصنام أو غيرها، يستغيث بها أو ينذر لها، أو يصلي لها أو يصوم لها، أو يذبح لها، ومثل أن يذبح للبدوي، أو يصلي لفلان، أو يطلب المدد من رسول الله ﷺ أو من عبد القادر، أو من العيدروس في اليمن، أو غيرهم من الأموات والغائبين، فهذا كله يسمى شركا، وهكذا إذا دعا الكواكب أو الجن، أو استغاث بهم، أو طلبهم المدد أو ما أشبه ذلك، فإذا فعل شيئا من هذه العبادات، مع الجمادات أو مع الأموات، أو الغائبين صار هذا شركا بالله عز وجل، قال الله جل وعلا: في سورة الأنعام ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الآية ٨٨]، وقال سبحانه : في سورة الزمر ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الآية ٦٥]، ومن الشرك أن يعبد غير الله عبادة كاملة، فإنه يسمى شركا ويسمى كفرا، فمن أعرض عن الله بالكلية، وجعل عبادته لغير الله، كالأشجار أو الأحجار أو الأصنام، أو الجن أو بعض الأموات

[117]) سنن الترمذي الأحكام (١٣٥٢)،سنن ابن ماجه الأحكام (٢٣٥٣).

من الذين يسمونهم بالأولياء، يعبدهم أو يصلي لهم أو يصوم لهم، وينسى الله بالكلية، فهذا أعظم كفرا وأشد شركا، نسأل الله العافية.

وهكذا من ينكر وجود الله، ويقول: ليس هناك إله والحياة مادة، كالشيوعيين والملاحدة المنكرين لوجود الله، هؤلاء أكفر الناس وأضلهم، وأعظمهم شركا وضلالا، نسأل الله العافية، والمقصود أن أهل هذه الاعتقادات، وأشباهها كلها تسمى شركا، وتسمى كفرا بالله عز وجل، وقد يغلط بعض الناس لجهله، فيسمي دعوة الأموات والاستغاثة بهم وسيلة، ويظنها جائزة وهذا غلط عظيم؛ لأن هذا العمل من أعظم الشرك بالله، وإن سماه بعض الجهلة أو المشركين وسيلة، وهو دين المشركين الذي ذمهم الله عليه وعابهم به، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لإنكاره والتحذير منه، وأما الوسيلة المذكورة في قول الله عز وجل: في سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ [الآية ٣٥].

فالمراد بها التقرب إليه سبحانه بطاعته، وهذا هو معناها عند أهل العلم جميعا ، فالصلاة قربة إلى الله فهي وسيلة ، والذبح لله وسيلة كالأضاحي والهدي، والصوم وسيلة، والصدقات وسيلة، وذكر الله وقراءة القرآن وسيلة، وهذا هو معنى قوله جل وعلا : ﴿اتَّقُوا اللهَّ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾[الآية ٣٥] يعني ابتغوا القربة إليه بطاعته، هكذا قال ابن كثير وابن جرير والبغوي وغيرهم من أئمة التفسير(١١٨)، والمعنى

---

١١٨) تفسير ابن كثير (ج ٢،٣، ص ١٠٣).

التمسوا القربة إليه بطاعته، واطلبوها أينما كنتم مما شرع الله لكم، من صلاة وصوم وصدقات وغير ذلك، وهكذا قوله في الآية الأخرى: في سورة الإسراء ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[الآية ٥٧]، وهكذا الرسل وأتباعهم يتقربون إلى الله بالوسائل التي شرعها، من جهاد وصوم وصلاة وذكر وقراءة قرآن، إلى غير ذلك من وجوه الوسيلة(١١٩)، أما ظن بعض الناس أن الوسيلة هي التعلق بالأموات، والاستغاثة بالأولياء فهذا ظن باطل، وهذا اعتقاد المشركين الذين قال الله فيهم: في سورة يونس ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فرد عليهم سبحانه في نفس الآية بقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الآية ١٨].

حكم من سب الدين أو غير ذلك من أمور الدين.

سؤال: ما حكم من يسب الدين من المسلمين؟

الجواب: سب الدين من أعظم الكبائر، ومن نواقض الإسلام، ـ نسأل الله العافية والسلامة ـ فمن سب دين الإسلام، أو سب نبي الإسلام، أو سب رسولاً من الرسل، ارتد عن الإسلام ـ نعوذ بالله ـ فإذا لعن الرسول أو لعن

---

(١١٩) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (ج ٤/ ٣٤،٣٣،،٣٥)

الإسلام، أو سب الإسلام بأنواع السب، بأن قال: الإسلام دين جامد، أو دين ناقص، أو أفيون الشعوب، أو أشباه ذلك من التنقصات؛ فإن هذا يسمى: سباً، ويكون صاحبه مرتداً عن الإسلام، فيستتاب فإن تاب وإلا قتل، وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يستتاب؛ بل يقتل مطلقاً، كمن سب الله وسب رسوله عليه الصلاة والسلام.

فالمقصود: أن السب لله أو لرسوله أو لدينه، ردة عن الإسلام، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه» فالواجب على من فعل ذلك أن يبادر بالتوبة، والرجوع إلى الله، والإنابة إليه، والندم على ما صدر منه، والاستكثار من العمل الصالح؛ لعل الله يتوب عليه، أما ولاة الأمور فالواجب عليهم استتابته، وتأديبه وتبيخه على فعله، وتأديبه بما يردعه وأمثاله عن ذلك، أما قبول التوبة فهي محل نظر وخلاف بين أهل العلم، فمنهم من رأى قبول توبته فله وجهه، ومنهم من رأى قتله وعدم قبول توبته وله وجهه؛ ردعاً للناس عن التساهل بهذا الأمر؛ وحمايةً لجناب الله سبحانه ولجناب دينه؛ وحمايةً لجناب رسوله عليه الصلاة والسلام؛ وبكل حال فالسب ردة عن الإسلام، أما كونه تقبل توبته بحكم الظاهر، أم لا تقبل فهذا محل خلاف بين أهل العلم، وأما فيما بينه وبين الله فإنها تقبل توبته، إذا صدق في توبته ورجع إلى الله وأناب إليه، وندم على ما مضى منه؛ فإن الله يقبلها منه؛ لعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة، فهو سبحانه الذي يقبل التوبة عن عباده، وهو القائل جل وعلا: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا

الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١] فالتوبة لها شأن عظيم، فإذا فعلها العبد صادقاً نادماً تاركاً لما فعله من الذنب كبيراً أو صغيراً، واستقام على ذلك، فالله سبحانه وتعالى يقبلها منه، لكن هل يقبلها ولي الأمر في الدنيا ولا يقتله؟ هذا هو محل الخلاف، فمن رأى عدم قبول توبة الساب، قال: لأن السب ذنب عظيم؛ ولأن قبولها قد يجرئ الناس على التساهل بها، فلهذا رأى جمع من أهل العلم أنه يقتل، ولا يستتاب لا تقبل توبته من جهة الحكم، حسماً لمادة هذا الشر؛ وحمايةً لدين الله؛ وحمايةً لرسوله؛ وحمايةً لجنابه سبحانه عن سب السابين، وشتم الشاتمين، وسخرية الساخرين، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كلمة من سماحة الشيخ لعامة الناس حتى لا يقعوا في مثل هذه الكبيرة.

نعم، إن سب الدين أمر يقع من كثير من السفهاء، فالواجب على جميع المسلمين أن يحذروا ذلك، وأن يصونوا ألسنتهم عما يتعلق بسب الدين، أو سب الله عز وجل، أو سب رسوله، أو سب الجنة، أو غير هذا مما شرعه الله سبحانه وتعالى، وهكذا لا يجوز الاستهزاء، لا بشرع الله، ولا بالجنة، ولا بالنار، ولا بالله، ولا برسوله، ولا بشيء مما شرعه الله، ولا باللحية، ولا بغير هذا مما شرعه الله، يجب أن يصون الإنسان لسانه، وأن تصون المرأة لسانها عن كل ما حرم الله عز وجل من سب، أو شتم، أو استهزاء، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ([التوبة:٦٥،٦٦]

ولما بلغه صلى الله عليه وسلم أن شخصاً قتل جاريته؛ حيث أنها كانت تسب النبي صلى الله عليه وسلم فقتلها، لما استتابها فأبت قتلها، قال عليه الصلاة والسلام: «ألا اشهدوا إن دمها هدر» لأنها سبت الرسول عليه الصلاة والسلام.

فالمقصود: أن الواجب على أهل الإسلام من الرجال والنساء، أن يحذروا هذا الأمر، ومن هذه الجريمة العظيمة، وأن يحذروها الناس، وأن يصونوا ألسنتهم عن سب الله ورسوله، أو الاستهزاء بالله ورسوله، أو الاستهزاء بشرعه، أو بما أخبر به عن الآخرة، وعن كل ما يتعلق بالسب والشتم والاستهزاء، رزق الله الجميع العافية والسلامة.

القول في الاتصاف بصفات الله، والتخلق بأخلاقه سبحانه.

سؤال: حث بعض الخطباء الناس في خطبة الجمعة على الاتصاف بصفات الله، والتخلق بأخلاقه سبحانه هل لها محمل؟، وهل سبق أن قالها أحد؟ الجواب: هذا التعبير غير لائق، ولكن له محمل صحيح، وهو الحث على التخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه وموجبها، وذلك بالنظر إلى الصفات التي يحسن من المخلوق أن يتصف بمقتضاها، بخلاف الصفات المختصة بالله سبحانه، كالخلاق والرزاق والإله ونحو ذلك ، فإن هذا شيء لا يمكن أن يتصف به المخلوق، ولا يجوز أن يدعيه، وهكذا ما أشبه هذه الأسماء، وإنما المقصود: الصفات التي يحب الله من عباده أن يتصفوا بمقتضاها،

كالعلم والقوة في الحق، والرحمة والحلم والكرم والجود والعفو وأشباه ذلك، فهو سبحانه عليم يحب العلماء قوي يحب المؤمن القوي، أكثر من حبه للمؤمن الضعيف، كريم يحب الكرماء، رحيم يحب الرحماء، عفو يحب العفو، إلخ، لكن الذي لله سبحانه من هذه الصفات وغيرها، أكمل وأعظم من الذي للمخلوق، بل لا مقارنة بينهما؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء لافي صفاته ولافي أفعاله، كما أنه لا مثيل له في ذاته، وإنما حَسْبَ المخلوق أن يكون له نصيب من معاني هذه الصفات، بما يليق به ويناسبه على الحد الشرعي، فلو تجاوز في الكرم الحد صار مسرفا، ولو تجاوز في الرحمة الحد عطل الحدود والتعزيرات الشرعية، وهكذا لو زاد في العفو على الحد الشرعي وضعه في غير موضعه، وهذه الأمثلة تدل على سواها(١٢٠)، وقد نص العلامة ابن القيم رحمه الله على هذا المعنى في كتابه الوابل الصيب، وإليك نص كلامه في العدة والوابل: (ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها، أو اتصف بضدها، وهذا شأن أسمائه الحسنى، أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها، ولهذا يبغض سبحانه الكافر والظالم والجاهل، والقاسي القلب والبخيل والجبان، والمهين واللئيم، وهو سبحانه جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، ستير يحب أهل الستر، قادر يلوم على

---

[١٢٠]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ((ج ١/ ١٣٤،١٣٥)

العجز، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، فهو عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها).

وقال: (والجود من صفات الرب جل جلاله، فإنه يعطي ولا يأخذ، ويطعم ولا يطعم، وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأحب الخلق إليه من اتصف بمقتضيات صفاته، فإنه كريم يحب الكرماء من عباده، وعالم يحب العلماء وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال)([١٢١]) انتهى.

وأظن أن ما ذكرنا فيه الكفاية، وأرجو أن يكون فيه فائدة، وأسأل الله سبحانه أن يوفقنا جميعا للفقه في دينه، والقيام بحقه سبحانه إنه سميع قريب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إجابة عن أسئلة في العقيدة من خلال بيان معنى بعض الآيات:

سؤال: نطلب من سماحتكم توضيح معاني الآيات الكريمة التالية: بسم الله الرحمن الرحيم من سورة الأنعام ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الآية ٣]، ومن سورة البقرة ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الآية ٢٥٥]، ومن سورة الزخرف ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[الآية ٨٤]، ومن سورة المجادلة ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ

---

[١٢١]) الوابل الصيب صفحة ٤٣ من مجموعة الحديث، وقال في العدة صفحة (٣١٠)

وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الآية ٧]

وحديث الجارية التي سألها رسول الله ﷺ بقوله: أين الله فقالت في السماء؛ وقال لها: من أنا؟ قالت: رسول الله. فقال الرسول ﷺ: أعتقها فإنها مؤمنة.(١٢٢)

فنرجو توضيح معاني هذه الآيات الكريمة، وتوضيح حديث الجارية؟

جواب: أفيدكم بأن المعنى العام للآيات الكريمات والحديث النبوي الشريف هو الدلالة على عظمة الله سبحانه وتعالى، وعلوه على خلقه، وألوهيته لجميع الخلائق، وإحاطة علمه وشموله لكل شيء كبيرا كان أو صغيرا سرا أو علنا، وبيان قدرته على كل شيء، ونفي العجز عنه سبحانه وتعالى.(١٢٣)

وأما المعنى الخاص لها فقوله تعالى: في سورة البقرة ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الآية ٢٥٥] ففيها الدلالة على عظمة الكرسي وسعته، كما يدل ذلك على عظمة خالقه سبحانه وكمال قدرته، وقوله سبحانه في نفس الآية: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ أي لا يثقله ولا يكرثه حفظ السماوات والأرض ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب

---

١٢٢) صحيح مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧)،سنن النسائي السهو (١٢١٨)،سنن أبو داود الصلاة (٩٣٠).

١٢٣) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله((ج ١/ ١٣٧،١٣٦).

عنه شيء ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه، متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه سبحانه، محتاجة وفقيرة إليه؛ وهو الغني الحميد ، الفعال لما يريد، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو القاهر لكل شيء، الحسيب على كل شيء، الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه؛ وقوله سبحانه في سورة الأنعام ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ فيها الدلالة على أن المدعو الله في السماوات وفي الأرض، ويعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السماوات ومن في الأرض، ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا، إلا من كفر من الجن والإنس، وفيها الدلالة على سعة علم الله سبحانه، واطلاعه على عباده وإحاطته بما يعملونه، سواء كان سرا أو جهرا، فالسر والجهر عنده سواء سبحانه وتعالى، فهو يحصي على العباد جميع أعمالهم خيرها وشرها.

وقوله سبحانه في سورة الزخرف ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ معناها أنه سبحانه هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، يعبده أهلهما، وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه، إلا من غلبت عليه الشقاوة فكفر بالله ولم يؤمن به، وهو الحكيم في شرعه وقدره، العليم بجميع أعمال عباده سبحانه.

وقوله سبحانه وتعالى في سورة المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا

عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ معناها أن الله مطلع سبحانه على جميع عباده أينما كانوا، يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ويعلم أعمالهم، ورسله من الملائكة الكرام والكاتبين الحفظة أيضا مع ذلك يكتبون مايتناجون به، مع علم الله به وسمعه كله؛ والمراد بالمعية المذكورة في هذه الآية عند أهل السنة والجماعة: معية علمه سبحانه وتعالى، فهو معهم بعلمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء، مع أنه سبحانه فوق جميع الخلق، قد استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، لا يشابه خلقه في شيء من صفاته، كما قال عز وجل في سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ثم ينبئهم يوم القيامة بجميع الأعمال التي عملوها في الدنيا؛ لأنه سبحانه بكل شيء عليم، وبكل شيء محيط، عالم الغيب لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

أما حديث الجارية التي أراد سيدها إعتاقها، كفارة لما حصل منه من ضربها؛ فقال لها النبي ﷺ: {أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: رسول الله قال: أعتقها فإنها مؤمنة} ([١٢٤]). فإن فيه الدلالة على علو الله على خلقه، وأن الاعتراف بذلك، وبرسالته ﷺ، دليل على الإيمان؛ وهذا هو المعنى الموجز لما كان السؤال عنه.

---

[١٢٤]) سبق تخرجه.

والواجب على المسلم أن يسلك في هذه الآيات، وما في معناها من الأحاديث الصحيحة، الدالة على أسماء الله وصفاته، مسلك أهل السنة والجماعة، وهو الإيمان بها، واعتقاد صحة ما دلت عليه، وإثباته لله سبحانه على الوجه اللائق به؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهذا هو المسلك الصحيح، الذي سلكه السلف الصالح، واتفقوا عليه؛ كما يجب على المسلم الذي يريد السلامة لنفسه، تجنيبها الوقوع فيما يغضب الله، والعدول عن طريق أهل الضلال، الذين يؤولون صفات الله، أو ينفونها عنه، سبحانه وتعالى عما يقوله الظالمون والجاهلون علوا كبيرا؛ ونسأل الله أن يرزق الجميع العلم النافع والعمل به، وأن يوفق الجميع لما يرضيه إنه سميع مجيب.(١٢٥)

سؤال: ما قول الشيخ في قول من يقول أن الله سبحانه حال في خلقه؟

جواب: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه، أما بعد: فقد تكررت الأسئلة عمن يقول بأن الله سبحانه حال بين خلقه، ومختلط بهم، وأن ذلك هو معنى المعية العامة، وشبهوا أيضا بقوله تعالى: في سورة القصص ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾[الآية ٤٤]وقوله في سورة آل عمران ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[الآية ٤٤] ومعنى ذلك أن الرسول ﷺ لم يكن عندهم، وإنما كان الله تعالى بذاته معهم؛ لأنه في كل مكان، على حد قولهم.

---

١٢٥) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (ج ١/ ١٣٨،١٣٩).

ولما كان القائل بهذا القول قد أساء الفهم، وارتكب خطأ فاحشا، مخالفا للعقيدة الصحيحة، التي جاء بها القرآن والسنة، واعتقدها سلف هذه الأمة، رأيت بيان الحق، وإيضاح ما خفي على هذا القائل في هذا الأمر العظيم، الذي يتعلق بأسماء الله وصفاته، فالله سبحانه وتعالى يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ على ما يليق بجلاله، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، كما قال تعالى في سورة الشورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الآية ١١] وإن مما ثبت في القرآن والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة، أن الله سبحانه فوق خلقه، بائن منهم، مستو على عرشه، استواء يليق بجلاله، لا يشابه خلقه في استوائهم، وهو سبحانه معهم بعلمه، لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا هو ما يدل عليه

القرآن، بأبلغ العبارات وأوضحها، وما تدل عليه السنة بالأحاديث الصحيحة الصريحة، ومن الأدلة القرآنية على أن الله سبحانه في السماء فوق خلقه، مستو على عرشه قوله سبحانه في سورة فاطر ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[الآية ١٠] وقوله في سورة آل عمران﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[الآية٥٥] وفي سورة المعارج ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[الآية ٤] وفي سورة الفرقان ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾[الآية ٥٩] وفي سورة الملك ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ وفي نفس السورة ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾[الآية١٦،١٧] وفي سورة طه ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

اسْتَوَى﴾[الآية ٥] وفي سورة غافر ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ وفي نفس السورة ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[الآية٣٦،٣٧] الآيات.

وأما الأدلة من السنة: فقد ورد في الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة، مثل قصة معراج الرسول ﷺ إلى ربه، وفي حديث الرقية الذي فيه:{ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض}([١٢٦]) الحديث، وقوله في حديث الأوعال: {والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه}([١٢٧])وقوله في الحديث الصحيح للجارية: {أين الله؟ قالت في السماء قال من أنا؟ قالت أنت رسول الله فقال أعتقها فإنها مؤمنة}([١٢٨]) إلى أمثال ذلك من الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ،والمفيدة علما يقينيا أن الرسول ﷺ بلغ أن الله سبحانه على عرشه، وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم، عربها وعجمها، في الجاهلية والإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفا، ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف،

---

[١٢٦]) رواه أبو داود الطب (٣٨٩٢).

[١٢٧]) رواه ابن ماجه رقم (١٩٣) وأبو داود (٤٧٢٣) ضعيف.

[١٢٨]) سنن أبو داود الأيمان والنذور (٣٢٨٤)،مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٢٩١) وسبق تخرجه عند مسلم (٥٣٧).

حرف واحد يخالف ذلك، لا نصا ولا ظاهرا، ولم يقل أحد منهم قط أن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله ﵁أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة في يوم عرفات، في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول: ألا هل بلغت؟ فيقولون نعم، فيرفع أصبعه إلى السماء ثم ينكبها إليهم، ويقول اللهم اشهد، غير مرة، وأمثال ذلك كثير.

كما أوضح هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀وغيره من أهل العلم.(١٢٩) والمقصود أن هذا المعتقد الفاسد الذي تعتقده الجهمية المعطلة، ومن سار على سبيلهم من أهل البدع، من أفسد المعتقدات وأخبثها، وأعظمها بلاء وتنقصا للخالق جل وعلا، نعوذ بالله من زيغ القلوب؛ والأدلة على بطلان هذا المذهب الضال كثيرة، فإن العقل الصحيح والفطرة السليمة ينكران ذلك، فضلا عن الأدلة الشرعية الثابتة، أما استدلال بعضهم بالآيات المذكورة آنفا، فإنه من أبطل الباطل، حيث زعموا أنه يؤخذ من الآيات أن الله موجود بذاته في الأرض، بجانب الطور تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ وقد خفي على هذا القائل أن المعية نوعان: عامة وخاصة، فالخاصة كقوله تعالى: في سورة النحل ﴿إِنَّ اللهَّ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[الآية

(١٢٩) انظر الفتاوى لابن تيمية ﵀(جـ ١ ص ١).

١٢٨] وقوله سبحانه في سورة التوبة ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا﴾[الآية ٤٠] وقوله ﷻ في سورة طه ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[الآية ٤٦] وأشباهها من الآيات؛ فهو سبحانه مع أنبيائه وعباده المؤمنين المتقين بالنصر والتأييد، والإعانة والتوفيق والتسديد والكفاية والرعاية والهداية. كما قال عز وجل فيما رواه عنه نبيه ﷺ إذ يقول: {ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها([130])، وليس معنى ذلك أن يكون الله سبحانه جوارح للعبد - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - إنما المراد تسديد الله وتوفيقه، لجوارح العبد كلها؛ كما تفسر ذلك الرواية الأخرى، حيث قال سبحانه: {فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي} فوضح بهذا سبحانه أن المراد من قوله: كنت سمعه إلخ: توفيقه وتسديده وحفظه له من الوقوع فيما يغضبه.

وأما المعية العامة فمعناها: الإحاطة التامة والعلم، وهذه المعية هي المذكورة في آيات كثيرة كقوله تعالى في سورة المجادلة ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[الآية ٧ ه] وقوله تعالى في سورة الحديد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[الآية ٤]، وقوله سبحانه في سورة الأعراف ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾[الآية ٧] وقوله سبحانه في سورة يونس ﴿وَمَا تَكُونُ

[130]) صحيح البخاري الرقاق (٦١٣٧).

فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[الآية ٦١] إلى غير ذلك من الآيات، فهو جل وعلا مستو على عرشه، على الكيفية اللائقة بكماله وجلاله، وهو محيط بخلقه علما، وشهيد عليهم أينما كانوا، وحيث كانوا، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت والقفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامهم، ويرى مكانهم، ويعلم سرهم ونجواهم(١٣١)، كما قال تعالى في سورة هود ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[الآية ٥] وقوله تعالى: في سورة الرعد ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾[الآية ١٠] وقال سبحانه في سورة الطلاق ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الآية ١٢]، فلا إله غيره سبحانه ولا رب سواه؛ وقد بدأ سبحانه آيات المعية العامة بالعلم، وختمها بالعلم، ليعلم عباده أن المراد بذلك: علمه سبحانه بأحوالهم، وسائر شئونهم؛ وليس معنى ذلك أنه سبحانه مختلط بهم في بيوتهم، وحماماتهم وغير ذلك من أماكنهم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ والقول بأن معنى المعية هو اختلاطه بالخلق بذاته، هو ما يقول به أهل الحلول، الذين يزعمون أن معبودهم بذاته في كل مكان، وينزهونه عن استوائه على عرشه، وعلوه على خلقه، ولم يصونوه عن أقبح أماكن

---

[١٣١]) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله(ج ١/ ١٤٣، ١٤٢، ١٤١).

أقذرها؛ قبحهم الله وأخزاهم، وقد تصدى للرد عليهم أئمة السلف الصالح، كأحمد بن حنبل، وعبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وأبي حنيفة النعمان، رحمهم الله وغيرهم، ومن بعدهم من أئمة الهدى، كشيخ الإسلام ابن تيمية ، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن كثير رحمهم الله وغيرهم.

وإذا تبين هذا، فإنه لا يؤخذ من قوله تعالى في سورة الحديد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[الآية ٤] وما جاء في معناها من الآيات، أنه مختلط وممتزج بالمخلوقات، لا ظاهرا ولا حقيقة؛ ولا يدل لفظ (مع) على هذا بوجه من الوجوه؛ وغاية ما تدل عليه المصاحبة والموافقة، والمقارنة في أمر من الأمور، وهذا الاقتران في كل موضع بحسبه، قال أبو عمر الطلمنكي رحمه الله تعالى: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى في سورة الحديد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ونحو ذلك من كلام القرآن: أنه

معهم بعلمه، وأن الله تعالى فوق السماوات بذاته، مستو على عرشه، كما نطق به كتاب الله وعلماء الأمة، وأعيان الأئمة من السلف، ولم يختلفوا بأن الله على عرشه فوق سماواته، وقال أبو نصر السجزي: أئمتنا كسفيان الثوري، ومالك، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، والفضيل، وابن المبارك، وأحمد، وإسحاق ـ رحمهم الله ورضي عنهم ـ متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وعلمه بكل مكان؛ وقال أبو عمر ابن عبد البر: أجمع علماء الصحابة والتابعين ﷺ الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل

قوله تعالى في سورة المجادلة ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾الآية٧] وهو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله؛ وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله على قوله تعالى: في سورة الحديد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الآية ٤] أي رقيب شهيد على أعمالكم، حيث كنتم وأين كنتم، من بر أو بحر في ليل أو نهار، في البيوت أو في القفار، الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم، ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم، كما قال تعالى في سورة هود ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[الآية ٥] وقال تعالى في سورة الرعد ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾[الآية ١٠] فلا إله غيره ولا رب سواه، وقال في تفسير آية سورة المجادلة: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ أي من سر ثلاثة﴿ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به، مع علم الله به، وسمعه له، كما قال تعالى في سورة التوبة ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[الآية ٧٨] وقال تعالى في سورة الزخرف ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[الآية ٨٠] ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه

أيضا مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء؛ وكلام السلف في هذا المقام أكثر من أن يحصر.

والمقصود بيان أن هذا المعتقد، وهو القول بأن الله بذاته في كل مكان، وأن معنى قوله تعالى في سورة الحديد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أنه معهم بذاته، وأنه لا تجوز الإشارة إليه؛ قول في غاية السقوط والبطلان، كما هو جلي من الأدلة الكثيرة الصريحة، التي سبق ذكر بعضها، وواضح بطلانه من إجماع أهل العلم، الذين نقل عنهم، وممن سبق ذكره من الأئمة.
وبهذا يتضح أن القائلين بالحلول، أعني حلول الله سبحانه بين خلقه بذاته، ومن قال بقولهم، قد جانبوا الصواب وأبعدوا النجعة، وقالوا على الله خلاف الحق، وتأولوا الآيات الواردة في المعية على غير تأويلها، الذي قاله أهل العلم؛ نعوذ بالله من الخذلان، ومن القول على الله بلا علم، ونسأله الثبات على الحق، والهداية إلى سبيل الرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.(١٣٢)

حكم من سب الدين أو الرب:

سؤال: ما حكم سب الدين أو الرب؟ - أستغفر الله رب العالمين - هل من سب الدين يعتبر كافر أو مرتد؟ وما هي العقوبة المقررة عليه في الدين

---

١٣٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (ج ١/ ١٤٤،١٤٥).

الإسلامي الحنيف؟ حتى نكون على بينة من أمر شرائع الدين؛ وهذه الظاهرة منتشرة بين بعض الناس في بلادنا أفيدونا أفادكم الله.

جواب: سب الدين من أعظم الكبائر، ومن أعظم المنكرات، وهكذا سب الرب عز وجل، وهذان الأمران من أعظم نواقض الإسلام، و من أسباب الردة عن الإسلام، فإذا كان من سب الرب سبحانه، أو سب الدين ينتسب للإسلام، فإنه يكون مرتدا بذلك عن الإسلام، ويكون كافرا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل من جهة ولي أمر البلد، بواسطة المحكمة الشرعية، وقال بعض أهل العلم إنه لا يستتاب؛ بل يقتل؛ لأن جريمته عظيمة، ولكن الأرجح، أنه يستتاب لعل الله يمن عليه بالهداية، فيلزم الحق، ولكن ينبغي أن يعزر بالجلد والسجن؛ حتى لا يعود لمثل هذه الجريمة العظيمة، وهكذا لو سب القرآن، أو سب الرسول ﷺ أو غيره من الأنبياء؛ فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

فإن سب الدين، أو سب الرسول ﷺ، أو سب الرب عز وجل من نواقض الإسلام؛ وهكذا الاستهزاء بالله أو برسوله، أو بالجنة أو بالنار، أو بأوامر الله كالصلاة والزكاة، فالاستهزاء بشيء من هذه الأمور من نواقض الإسلام، قال الله سبحانه في سورة التوبة ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ الآية ٦٥،٦٦)، نسأل الله العافية.

فهرسة الموضوعات: